كتب رجال من المصريين في الامام علي بن ابي طالب (ع) واغا اتوا بالقشور ، وبعضهم انتقص عليا (ع) وبعضهم دس السم في العسل كما سيتضح ذلك في مبحث خاص من هذا الكتاب ، وفي هذا الكتاب اللباب ، ففيه بكامله الأسرار والحقائق والعلوم والمعارف ، والتمثيل الفني الجميل كما ترى في هذا السفر الجليل عليا (ع) يتجلى على عرش الخلافة وفي مطلعه الباسم تتجلى الفضائل

كتاب

أنا مدينة العلم و«عليٌّ» بابُها

يبحث هذا الكتاب بكامل أجزائه عن حياة الإمام أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع) العلمية والعملية بدقة وتحليل ، ويريك في طي مباحثه القيمة سمو عظمة هذه الشخصية الفذة ، كما يمثل أمام عينيك شخصاً هو ملك بكل ما للملك السماوي من نسك وبهاء زاهرين ، وإنسان بكل ما للانسانية من جمال وكمال متناهيين

تأليف

أقل خدمة الدين الإسلامي والمذهب الإمامي

الشيخ بدر الدين الصائغ العاملي

صاحب كتاب « رسالة الايضاح في إرشاد القضاة إلى الصلاح »

الجزء الأول

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مطبعة العرفان * صيدا

www.haydarya.com

كتاب

أنا مدينة العلم وعلي بابها

يبحث هذا الكتاب بكامل أجزائه عن حياة الإمام أمير المؤمنين علي
ابن أبي طالب (ع) العلمية والعملية بدقة وتحليل ، ويريك في
طي مباحثه القيمة سمو عظمة هذه الشخصية الفردة ،
كما يمثل أمام عينيك شخصاً هو ملك بكل ما للملك
السماويّ من نسك وبهاء زاهرين ، وإنسان
بكل ما للانسانية من جمال وكمال متناهيين

تأليف

أقل خدمة الدين الإسلامي والمذهب الإمامي

الشيخ بدر الدين الصائغ العاملي

صاحب كتاب « رسالة الايضاح في إرشادالقضاة إلى الصلاح »

الجزء الأول

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

وقف
السيد عبد الكريم القزويني
لمكتبة الروضة الحيدرية
الفاتحة الى روح أمواته

مطبعة العرفان * صيدا

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٤٨٠٥
التاريخ ١٠/ ١٤٢٧

« الإهداء »

إلى روحانيتك يا رسول الله وإلى قداسة نبوتك أهدي كتابي هذا

وها هي صفحات هذا السفر الجليل تلمع يا رسول الله بما صرحت به من فضائل ومناقب في وصيك وخليفتك ، وأخيك وابن عمك أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب (ع)

ولئن كانت لآلي الفضائل وشذرات المناقب تهدى إلى شخصية بارزة من شخصيات المجتمع الإنساني فبالحري أن تهدى شذرات هذا السفر ولآليه إلى شخصيتك العليا يا رسول الله ، إذ أنت الفرد الإنساني الأكمل ، كما كان بأخيك أمير المؤمنين (ع) كمال الفضيلة الإنسانية .

وبيمن رسالتك يا شفيع الأمة ، وبفضل جمالك النبوي يا صاحب الاعجاز القرآني استطاع عبدكم وشيعتكم أن يبرز إلى الملأ ما نثره فوك من هاتيك اللآلي والشذرات في أخيك الوصي أمير المؤمنين علي (ع)

فها هي يا أبا القاسم تلك الشذرات واللآلي تبرز أمام الأعين بروز الشمس في رأد الضحى . أجل ، إنها لتبرز يا رسول الله حقائق ناصعة ، وفضائل برّاقة ، ومناقب وهاجة . وإنها ليراها الثقلان عقوداً تشع في جيد الدهر ، وأعلاماً متلألأة قد استنار بضوئها الليل والنهار

كما يراها الثقلان مناهج سؤدد ورشاد ، ومناظر عسجدية تنطق بجمال الأمة وفلاحها الدائم ، وتعلو بسناها على سنا الفرقدين ، وتبتهج بالتطلع اليها قلوب البشر

كما يستبصر بعرفانها أبناء العصر قديماً وحديثاً

وكما يراها الملأ الأعلى أسلاكاً تتقد في كل سماء .

وكما قد اعتمد عليها الجسم النوراني المحيط ، وبها ثبت واستقر ما أحاط به من عوالم . لقد عرفنا هاتيك اللآلي والشذرات بهذه الخواص والآثار من قبل خلق الكون وهي منك يا رسول الله في أبي سبطيك ، وعن الوحي جبرائيل تلقيتها يا سيد الرسل فيمن نصبته يوم الغدير وصياً وخليفة وعلماً للناس عامة ليقيم الأود ، ويسد الثغر ، ، وينشر العدل ، ويبرز الحق ، وينير الكون بعلومه ومعارفه ، ويجعل الناس كلهم أمتك بإخلاص

فهي منك يا رسول الله ، وإلى شرف رسالتك ونور نبوتك أهديها عرائس تتجلى ويتجلى ببهجتها الوجود ، كما تتجلى بجمالها النفوس

وصلى الله عليك يا أبا القاسم صلاة غادية ورائحة ، وعلى خليفتك الناهج نهجك ، والمقتفي أثرك ، والممثل لشريعتك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع)

عبدكم

بدر الدين الصائغ

(من هو الامام أمير المؤمنين)

هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ، بن هاشم ، بن عبد مناف ، بن قصي ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب ، بن لوئي ، بن غالب ، بن فهر ، بن مالك بن النضر ابن كنانة ، بن خزيمة ، بن مدركة ، بن الياس ، بن مضر ، بن نزار ، بن معد ، بن عدنان وينتهي هذا النسب الذهبي إلى اسماعيل بن ابراهيم الخليل (ع) .

وفي كتاب « معاني الأخبار » لأبي جعفر بن بابويه القمي بسنده عن الحسن البصري قال : صعد أمير المؤمنين (ع) منبر البصرة فقال : أيها الناس ، انسبوني فمن عرفني فلينسبني وإلا فأنا أنسب نفسي ، أنا زيد بن عبد مناف ، بن عامر ، بن عمرو ، بن المغيرة ، بن زيد ، بن كلاب ، فقام اليه ابن الكوا فقال له : يا هذا ما نعرف لك نسبا غير أنك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب ، فقال (ع) : يا لكع ان أبي سماني زيداً باسم جده قصي ، واسم أبي عبد مناف فغلبت الكنية على الاسم ، وان عبد المطلب عامر فغلب اللقب على الاسم ، واسم هاشم عمرو فغلب اللقب على الاسم ؛ واسم عبد مناف المغيرة فغلب اللقب على الاسم ، وان اسم قصي زيد فسمته العرب مجمعاً لجمعه إياها من البلد الأقصى إلى مكة فغلب اللقب على الاسم

(ما هو معصوم الله تعالى)

هو ولاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

روى أبو جعفر بن بابويه القمي في كتاب « معاني الأخبار » قال : حدثنا محمد محمد بن الحسن القطان ، قال حدثنا عبد الرحمن بن محمد الحسيني ، قال حدثني بن ابراهيم محمد الفزاري ، قال حدثني عبد الله بن بحر الانوازي ، قال حدثني أبو الحسن علي بن عمرو ، قال حدثنا الحسن بن محمد بن جمهور ، قال حدثني علي بن

بلال عن علي بن موسى الرضا عن موسى بن جعفر عن جعفر بن محمد عن محمد بن علي عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب عن النبي (ص) عن جبرائيل عن ميكائيل عن إسرافيل عن اللوح عن القلم قال : يقول الله تبارك وتعالى : ولاية علي بن أبي طالب (ع) حصني فمن دخل حصني أمن ناري

هذا الحديث هو الحديث المشهور بحديث سلسلة الذهب ، ومضمونه مروي من طرق الخاصة والعامة ، ويتضح لك هذا من مباحث هذا الكتاب

علي (ع) مجمع الفضائل

ماذا نقول في الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) ، وفي أي فضيلة من فضائله السامية نتكلم ، أم أي منقبة من مناقبه النيرة نجعلها هدف العمل الفكري ومرمى التحليل العقلي

إن العقل ليقف حيران عند هذه النظرة من نظراته الدقيقة في شخصية الإمام علي (ع) ، ويعلوه نوع من الاضطراب إذا شرع في تحليل فضيلة من فضائله ، كما لا ينفك ذا دهشة إذا أخذ في الكشف عن سر من أسرار منقبة من مناقبه الوضاءة

نعم إن الاطراء على أي شخصية إنسانية بالمدح والثناء لا يكون إلا من حيث تلونها بفضيلة أو فضائل ، مثل العلم والمعارف ، والادب والاخلاق ، والجود والسخاء والسياسة والشجاعة ، والفصاحة والبلاغة ، وسرعة البديهة ، واستحضار الاجوبة الصحيحة ، وابتداع الآراء السديدة ، إلى آخر ما هنالك مما كان من نوع هذه الفضائل .

إن الكل ليعلم بأن الإمام أمير المؤمنين (ع) قد جمع هذه الفضائل المتنوعة وقام بها اتم قيام بما لم يتسن لأحد سواه ، كما قد كان (ع) في أتم النباهة والتيقظ لمصالح الشعب والأمة ، والتفقد لاحوال المسلمين ، والنظر اليهم برحمة وعطف وحنان ،

على نمط ما برز (ع) فيه من محاسن السياسة وكمال القيام بشؤون الدين الإسلامي والتضحية في سبيله بالنفس والنفيس بما لم يكن مثله لأكبر صحابي من المهاجرين والانصار ، هذا مع ما استقل (ع) به من العلم الزاخر ، والفضل الباهر ، والإخبار عما كان ويكون من أسرار هذا الكون ودقائقه وحوادثه ووقائعه مما لم يحصل على اليسير منه شيوخ الصحابة وعلماؤهم ، وناهيك ما كان له (ع) وحده من فضيلة العرفان والتأله بحيث قد وصل بكل جارحة من جوارحه إلى الملكوت الأعلى ، إلى ما سوى هذه مما لا يحصى من الفضائل القيمة التي قد استقل (ع) بأعبائها وحده

إنا إذا حكمنا الفكر في المقام وجلنا به جولة بسيطة في ميدان التمحيص للحقيقة لحكمنا بدون تريث بأن أمير المؤمنين (ع) هو الذي كانت له هذه الفضائل لا سواه ، وانه الذي قد مثلها أجل تمثيل بسائر قواه وجوارحه بنهج لم يتهيأ مثله لأكبر عالم مهما درس من كتب الأوائل والاواخر ومهما وعى من العلوم والمعارف ، ولم يكن لافضل فيلسوف حكيم مهما ابتدع بعقله واختط بفكره من فنون وأنظمة مما به حياة البلاد وعمران المدن ، إن هذا الصنف الانساني بما عنده من هذه لا شيء بالنسبة إلى الإمام أمير المؤمنين (ع) والكل في كل فضيلة عيال على أبي الحسن (ع)

واليك البيان بشكل أبسط ، وذلك بأن ننظر اليه (ع) من حيث انه رجل عربي يمثل أخلاق العرب الفاضلة شهامة وغيرة وحمية .

ومن حيث انه (ع) من أرفع بيت في قريش ، ابتني على المجد والشرف ، وتأسس على مكارم الأخلاق

ومن حيث انه (ع) رجل حربي وفارس مقدام ، تهابه الأبطال ، وترجف منه الفرسان خيفة وحذرا ، لا يرجع (ع) إلا بالفتح ، ولا يؤوب إلا بالظفر والنصر

ومن حيث انه (ع) سخي جواد يقري الضيف ، ويلاطفه ويداعبه ، ويحادثه

ويؤانسه ، كما لا يؤوب الوافد اليـه (ع) إلا مثلـوج الفؤاد ، مسرور القلب ، بالعطاء الجزيل

ومن حيث انه (ع) يُجير الدخيل ؛ ويؤمن الخائف ، ويرعى الذمم ، ويوفي بالوعود . ومن حيث انه (ع) عالم بأخبار الأوائل ، بصير بأحوالهم ، حافظ لعلومهم وآثارهم . ومن حيث انه (ع) ذو آراء سديدة ، وأفكار مصيبة ، لا يصيد (ع) بآرائه إلا الحقائق ، ولا ترمي افكاره إلا إلى الخير المحض ، كما لا يتوجه (ع) بدرّاكته وشعوره إلا إلى ما فيه سيادة الأمة الاسلامية ، ولا يبتدع عقله (ع) إلا ما فيه التنور والثقافة لجميع افراد البشر

ومن حيث انه (ع) صحابي كبير وممن لازم خدمـة الرسول (ص) ، وأدمن على الجلوس بـين يـديه ليلا ونهاراً ، ونفّذ اوامره ونواهيه كيف كانت وفي كل وقت وعلى أي حال كما ننظر اليه (ع) من حيث انه القائد الأعلى لجيوش المسلمين والامير المطلق على هاتيك العساكر بشيوخهم وكهولهم وشبانهم ، وهو (ع) إذ ذاك المستقل بلواء النبي (ص) وصاحب رايته في جميع حروبه وغزواته

وكذا ننظر اليه (ع) من حيث انه وارث علوم الرسول (ص) ومستودع أسراره

كما ننظر اليه (ع) من حيث ان النبي (ص) قد أنشأ فيه (ع) مالا يحصى من المدح والثناء ، كما قد أصدر (ص) الأوامر المشدّدة في الحث على حبه (ع) والتمسك بولائه وحذر (ص) من التأخر عنه (ع) والتقدم عليه بما فيه العقاب الشديد والخلود في جهنم

كما ننظر اليه (ع) من حيث انه الزاهد الورع المحتاط ، والمتأله الرياضي العارف وانه (ع) يحيي الليل راكعاً وساجداً بالذكر والعبادة والمناجاة

إلى آخر ما هنالك من جهات الفضيلة وحيثيات الكمال ، التي إذا نسبنا أمير المؤمنين (ع) اليها لرأيناه المبرز وحده بجميع ما لها من سمو وارتقـاء في سماء العز

والكرامة .

أضف إلى هذه الجهات جهات أخرى لها أعلى القيم في سوق الفضائل ، وهي اتصاله (ع) بالرسول ﷺ من حيث النسب والمصاهرة

وانه (ع) وصيه(ص)بدلالة القرآن الكريم ، والنصوص النبوية ، وحكم العقل

وانه اكمل (ع) رجل عربي مشى بقدميه على وجه الارض بل اكمل ولد آدم بصفاته الغر وخلاله الحسان بعد الرسول الأعظم ﷺ

وانه (ع) أنبل شخصية انسانية تخرجت من اكبر معهد علمي ، قد أنهك قواها الحنكة والتجارب ، وسرحت بأفكارها في هذا العالم للنظر في خلق السماوات والارض

وانه (ع) أحد أفراد البشر ذهنا وأشدهم ذكاء بمقتضى الفطرة

وانه (ع) اصبح الناس وجهاً ، وأسخاهم كفاً ، وأسرعهم إجابة عند السؤال بمقتضى طبيعته (ع) وجبلته

وانه (ع) أشجع الصحابة عند ملاقاة الأهوال ، وعند نشوب الحرب واستعار لظاها ، وحيث تبرق الأسنة والرماح

وانه (ع) أسبق الصحابة لتنفيذ الارادات النبوية ، وأعلمهم بالحلال والحرام ، وأعرفهم بمواضع القضاء ، واكملهم اطلاعاً على نكته وأسراره

وانه (ع) أشد الصحابة اجتهاداً في طاعة الله سبحانه ، وأجودهم تلاوة للقرآن الكريم ، وأحفظهم للحقوق ، وأورعهم عن الشبهات ، وأزهدهم في الحطامات الدنيوية ، وأكملهم نباهة لمصالح المسلمين ، وأسرعهم إغاثة للمضطر منهم والملهوف

وانه (ع) قد أنار سبل المسلمين في حياة الرسول ﷺ ورفع عنهم البؤس والضر في كل مشهد مخوف ، على حد صموده (ع) وحده بشخصه وجنانه وسائر قواه في كل غزوة نبوية ، كما لم تكن فتوحات الرسول (ص) وانتصاراته الباهرة إلى

آخر حرب طاحنة من حروبه الهائله إلا بسيفه (ع) ورباطة جأشه وعجيب بسالته ، إلى آخر ما يحصى من عناوين الفضيلة التي كان (ع) وحده مثالها وعنوانها لا سواه فكان الإمام (ع) بالنظر إلى هذه الجهات والحيثيات مجمع الفضائل بلا ريب .

﴿ كلام البعض بأن الأعمال التي يستحق بها الخير أربعة ﴾
﴿ وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب (ع) متفرقة في الصحابة ﴾

قال بعض العلماء في جامعية الإمام أمير المؤمنين (ع) لما تفرق في الصحابة من الفضائل : والأعمال التي يستحق بها الخير أربعة ، التقدم في الإسلام ، والذب عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعن الدين ، والفقه في الحلال والحرام ، والزهد في الدنيا ، ثم قال بعد ذكر هذه الأربعة : وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب عليه السلام ، متفرقة في الصحابة

ولقد أجاد هذا الفاضل حيث ذكر هذه الأربعة على نحو الترتيب إذ لا يخفى أن اللاحق منها مرتب على السابق ، وليس في اللاحق منها فائدة إذا لم يكن السابق منها موجوداً ، مثلا إذا لم يكن الصحابي متحليا بنور الإسلام فلا تنفعه الثلاثة الأخر ، كما لا ينتفع الصحابي بالفقه بالحلال والحرام إذا لم يقم هذا الصحابي بالجهاد بين يدي الرسول ، (صلى الله عليه وآله وسلم) بدون عذر ، كما لا ينتفع الصحابي بالزهد في الدنيا إذا لم يكن متفقها بالحلال والحرام ، فالصحابي إذاً إنما يكون ذا قيمة عالية إذا جمع هذه الأربعة ، ولا يشك امرؤ خبير بأن الصحابي الذي جمعها على النحو الأتم الأكمل إنما هو الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام لا غيره

ثم لا يخفى بأن هذه الاربعة من أمهات أصول الفضائل ، كما لا يخفى بأنها ليست متساوية بالنسبة إلى درجات الفضيلة بل هي متفاوتة من هذه الناحية ، فأعلاها درجة الإسلام ، ثم الجهاد ، ثم الفقه ، ثم الزهد ، فكان الجهاد بهذا البيان ثاني الإسلام

درجة بالفضل والكمال، وأعلى فضلا وكمالا بالنسبة إلى الاخيرين، الفقة، والزهد.

والكل يعلم بأن الجهاد كان الركن المقوم لانتعاش الدعوة المحمدية وحياة الدولة الإسلامية، كما يعلم الجميع بأنه لم يمثل الجهاد كما يريد الله ورسوله ﷺ إلا الإمام عليه السلام، هذا بالرغم من صغر سنه، فكان هذا النهج من التمثيل من آياته عليه السلام المتفرد بكمالها، ومن كراماته التي أخذ عليه السلام بها وسام السيادة على سائر الصحابة، كما كان عليه السلام سيدهم في كل مشهد برز فيه الرسول ﷺ مبشراً ونذيراً.

أبيات أسد بن رقيم يكبر فيها علياً (ع) بخصوص فضيلة الجهاد

ولما كان تمثيله عليه السلام لهذة الفضيلة «فضيلة الجهاد» بأسمى مكان من الإكبار والإعجاب حيث قام عليه السلام بشؤونها بين يدي الرسول ﷺ على نحو لم يقم باليسير منه ذوو الأسنان الكبيرة من شيوخ قريش وكهولها وعلى نحو قد عجز عن مثله أهل الحنكة والتدريب منهم في فن الغزو والجهاد، وهو عليه السلام إذ ذاك بتلك الحداثة من السن، لذا قال أسد بن رقيم مكبراً لعلي عليه السلام من هذه الناحية ويحرض قريشاً عليه (ع)، قال

في كل مجمع غاية أحرزاكم	جذع أبر على المذاكي القرح «١»
لله دركم ألما تنكروا	قد ينكر الضيم الكريم ويستحي
هذا ابن فاطمة الذي أفناكم	ذبحا ويمشي آمنا لم يجرح
أين الكهول وأين كل دعامة	للمعضلات وأين زين الأبطح
أفناهم ضربا بكل مهند	صلت وحد غراره لم يصفح

(١) الجذع بحركتين له معان والمراد الشاب الحدث، والمذاكي الخيل التي تم سنها وكملت قوتها، والقارح من ذي الحافر الذي شق نابه وطلع.

وهـل يمكننا بعد أن عرفنا انه عليه السلام مجمع الفضائل إلا مدحه عليه السلام والثناء عليه ، أم هل نستطيع إلا حبه وولاده

أجل لا يسعنا عندئذ إلا ولاءه عليه السلام ، والائتمام به ، واتخاذه معتصما للنجاة من الأهوال والشدائد ، إذ اننا علمنا أن الحق مع علي عليه السلام يدور معه كيفما دار ، لقد علمنا انه عليه السلام ما افترق عن الحق ولا افترق الحق عنه إلى آخر لحظة من حياته ، فلا تكون النجاة إذاً إلا بولاء أبي الحسن علي عليه السلام ولا الورود على الكوثر يوم العطش الاكبر إلا بالائتمام بزوج الزهراء البتول ، ولا احتلال المنازل الرفيعة في الفردوس إلا بالاعتصام بالعروة الوثقى وحبل الله المتين علي أمير المؤمنين عليه السلام

أبو بكر في حديث له مع عمر يكبر عليا

بخصوص فضيلة الجهاد

لقد علمنا بالضرورة أن فضيلة الجهاد من أجل الفضائل وهو ثاني رتبة بالفضل بعد الإسلام ، كيف وان الجهاد وهو الدعامة الكبرى في قيام الدعوة المحمدية ، وبه تم للاسلام ما تم من الانتصار والظفر ، أما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فلقد كان السابق الأول والمبرز الوحيد من هذه الناحية ، وإذا نظرنا إلى سائر الصحابة بخصوص التمثيل لهذه الفضيلة « فضيلة الجهاد » فإنا نرى الإمام عليه السلام وحده في كفة ، وعموم الصحابة في الكفة الأخرى ولعلي عليه السلام الرجحان في كفتهم أجمعين . بل نستطيع القول بأن المقايسة بين الإمام عليه السلام وبين عموم الصحابة من حيث القيام بفضيلة الجهاد بين يدي الرسول (ص) فإنما هو من باب المقايسة بين الوجود والعدم لقد أصبح الإمام عليه السلام مضرب الأمثال من هـذه الناحيـة « ناحية تمثيله عليه السلام لفضيلة الجهاد » الذي به قد ارتكز أصول الدين الاسلامي

وعم انتشاره في أنحاء المعمورة من أقصاها إلى أقصاها

واليك مقالة أبي بكر مع عمر في الإمام علي عليه السلام بخصوص فضيلة الجهاد فترى في هذه المقالة الاكبار من أبي بكر لعلي عليه السلام من هذه الناحية ، وذلك كما رواه الطبرسي في الاحتجاج بعد ذكره رسالة الإمام عليه السلام لأبي بكر وخطاب أبي بكر للمهاجرين والانصار ، وقول عمر لابي بكر ، فكان من كلام أبي بكر مع عمر في المقام أن خاطبه قائلا : فو الله لو هم ابن ابي طالب بقتلي وقتلك لقتلنا بشماله دون يمينه وما بنجينا منه إلا احدى ثلاث خصال « احداها » انه وحيد لاناصر له « والثانية » انه يتبع فينا وصية رسول الله ﷺ « والثالثة » انه ما من هذه القبائل أحد الا وهو يتخضمه كتخضم الثنية الابل أوان الربيع فتعلم لولا ذلك لرجع الامر اليه وان كنا له كارهين أما ان هذه الدنيا أهون عليه من لقاء أحدنا الموت أنسيت له يوم أحد وقد فررنا بأجمعنا وصعدنا الجبل وقد أحاطت به ملوك القوم وصناديدهم موقنين بقتله لا يجد محيصا للخروج من أوساطهم فلما أن سدد عليه القوم رماحهم نكس نفسه عن دابته حتى جاوزه طعان القوم ثم قام قائما في ركابيه وقد طرق عن سرجه وهو يقول : يا الله يا الله يا جبرائيل يا جبرائيل يا محمد يا محمد النجاة النجاة ثم عمد الى رئيس القوم فضربه ضربة على أم رأسه فبقي على فك واحد ولسان ثم عمد الى صاحب الراية العظمى فضربه ضربة على جمجمته ففلقها ومر السيف يهوي في جسده فبراه ودابته نصفين ولما أن نظر القوم الى ذلك انجفلوا من بين يديه فجعل يمسحهم بسيفه مسحا حتى تركهم جراثيم جموداً على تلعة من الارض يتمرغون في حسرات المنايا ويتجرعون كؤوس الموت قد اختطف أرواحهم بسيفه ونحن نتوقع منه اكثر من ذلك ولم نكن نضبط أنفسنا من مخافته حتى ابتدأت منك اليه التفاتة وكان منه اليك ما تعلم ولولا انه نزلت آية من كتاب الله لكنا من الهالكين وهي قوله

تعالى « ولقد عفا عنكم » فاترك هذا الرجل ولا يغرنك قول خالد انه يقتله فإنه لا يجسر على ذلك ولو رام لكان أول مقتول بيده فإنه من ولد عبد مناف اذا هاجوا هيبوا واذا غضبوا أدموا ولا سيما علي بن أبي طالب نابها الاكبر وصنامها الأطول وهامتها الأعظم والسلام على من اتبع الهدى

عمر بن الخطاب في حديث له مع أبي وائل يكبر عليا (ع) بخصوص هذه الفضيلة

واليك المقالة الثانية من هذا البيان لعمر بن الخطاب مع أبي وائل وذلك كما رواه في كتاب « الروضة » عن أبي وائل قال : مشيت خلف عمر بن الخطاب فبينما أنا أمشي معه إذ أسرع في مشيه فقلت له : على رسلك يا أبا حفص فالتفت الي مغضبا وقال لي : أما ترى الرجل خلفي ثكلتك أمك أما ترى علي بن أبي طالب عليه السلام فقلت : يا أبا حفص هو أخو رسول ﷺ وأول من آمن به وصدقه وشقيقه قال : لا تقل هذا يا أبا وائل لا أم لك فو الله لا يخرج روعه من قلبي أبداً فقلت : ولم ذلك يا أبا حفص قال : والله لقد رأيته يوم أحد يدخل بنفسه في جمع المشركين كما يدخل الأسد في زريبة الغنم فيقتل منها ما يشاء فما زال ذلك دأبه ونحن منهزمون عن رسول الله ﷺ وهو ثابت فلما وصل الينا قال : فما بالكم يا ويلكم أترغبون بأنفسكم عن رسول ﷺ بعد اذ بايعتموه فقلت له من القوم : يا أبا الحسن ان الشجاع قد يهزم وان الكرة تمحو الفرة فما زلت أخادعه حتى انصرف بوجهه عني ، يا أبا وائل والله لا يخرج روعه من قلبي أبداً

ولقد أفردنا في هذا الكتاب بحثا خاصا في موقف الامام أمير المؤمنين عليه السلام يوم أحد وأشبعنا الكلام فيه بدقة وتحليل

أبو بكر يتلو جملة من فضائل الامام علي (ع) أمام

« جمهور المسلمين »

واليك في المقام ما نثره أبو بكر بمحضر جمع المسلمين من الفضائل المتنوعة التي اختص بها أمير المؤمنين عليه السلام من بين المهاجرين والأنصار وذلك كما رواه في كتاب الاحتجاج عن عامر الشعبي عن عروة بن الزبير بن العوام قال : لما قال المنافقون ان أبا بكر تقدم عليا عليه السلام وهو يقول : أنا أولى بالمكان منه ، قام أبو بكر خطيبا فقال : صبراً على من ليس يؤول الى دين ولا يحتجب برعاية ولا يرعوي لولاية ، أظهر الإيمان ذلة ، وأسر النفاق غلة ، هؤلاء عصبة الشيطان وجمع الطغيان ، يزعمون اني أقول اني أفضل من علي ، وكيف أقول ذلك . وما لي سابقته ، ولا قرابته ، ولا خصوصيته ، وحد الله وأنا ملحده ، وعبده علي قبل أن أعبده ، ووالى الرسول ﷺ وأنا عدوه ، وسبقني بساعات لو انقطعت لم ألحق شأوه ولم أقطع غباره ، وان علي بن أبي طالب فاز والله من الله بمحبته ، ومن الرسول بقرابة ، ومن الإيمان برتبة ، لو جهد الاولون والآخرون الا النبيين لم يبلغوا درجته ولم يسلكوا منهجه ، بذل في الله مهجته ، ولابن عمه مودته ، كاشف الكرب ، ودامغ الريب ، وقاطع السبب الا سبب الرشاد ، وقامع الشرك ، ومظهر ما تحت سويد أحبة النفاق ، محنة لهذا العالم ، لحق قبل ان يلاحق ، وبرز قبل أن يبارز ، جمع العلم والفهم ، فكان جميع الخيرات لقلبه كنوزاً لا يدخر منها مثقال ذرة الا انفقه في بابه ، فمن ذا يؤمل أن ينال درجته وقد جعله الله ورسوله للمؤمنين وليا ، وللنبي وصيا ، وللخلافة راعيا ، وبالإمامة قائما ، أفيغتر الجاهل بمقام قمته اذ اقاضي وأطعته اذ امرني ، سمعت الرسول (ص) يقول : الحق مع علي وعلي مع الحق من اطاع عليا رشد ومن عصى عليا فسد ومن احبه سعد ومن ابغضه شقي ، والله لو لم

يحب ابن ابـي طالب إلا لأجل انه لم يواقع محرما ولا عبد من دونه صنما ، ولحاجـة الناس اليه بعد نبيهم لكان في ذلك ما يجب فكيف لأسباب اقلها موجب، وأهونها مرغب ، للرحم الماسة بالرسول (ص) ، والعلم بالدقيق والجليل ، والرضا بالصبر الجميل والمؤاساة في الكثير والقليل ، وخلال لا يبلغ عدها ولا يدرك مجدها ، ودّ المتمنون ان لو كانوا تراب اقدام ابن ابـي طالب ، اليس هو صاحب لواء الحمد ، والساقي يوم الورود ، وجامع كل كرم ، وعالم كل علم ، والوسيلة الى الله والى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم

حرة السعدية تتلو طرفاً من فضائل أمير المؤمنين (ع)

« في مجلس الحجاج »

واليك في المقام أيضا ما نثرته حرة السعدية بـين يدي الحجاج من لآلي فضائل الامام أمير المؤمنين (ع) وذلك كما رواه في كتاب « الروضة في الفضائل » وذكره ايضا العلامة المجلسي في كتاب « درر البحار » قال في الروضة : ومما روي عن جماعة ثقاة انه لما وردت حرة بنت حليمة السعديـة على الحجاج بـن يوسف الثقفي فمثلت بين يديه قال لها : أنت حرة بنت حليمة السعدية قالت له : فراسة من غـير مؤمن فقال لها : الله جاء بك فقد قيل عنك أنك تفضلين عليا على أبي بكر وعمر وعثمان ، قالت : لقد كذب الذي قال اني افضله على هؤلاء خاصة قال وعلى من غير هؤلاء قالت : افضله على آدم ونوح ولوط وابراهيم وموسى وداود وسليمان وعيسى بن مريم ، فقال لها : يا ويلك اقول لك انك تفضلينه على الصحابة وتزيدين عليهم سبعة من الأنبياء من أولي العزم من الرسل ، ان لم تأتيني ببيان ما قلت ضربت عنقك فقالت : ما انا فضلته على هؤلاء الأنبياء بل الله عز وجل فضله عليهم في القرآن بقوله عز وجل في حق آدم « فعصى آدم ربه فغوى » وقال في حق علي (ع) وكان

سعيه مشكورا » فقال احسنت ياحرة ، فبما تفضلينه على نوح ولوط ، فقالت : الله فضله عليهما بقوله « ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين » وعلي بن ابي طالب (ع) كان ملاكه تحت سدرة المنتهى زوجته بنت محمد (ص) فاطمة الزهراء التي يرضى الله تعالى لرضاها ويسخط لسخطها ، فقال لها الحجاج : احسنت ياحرة فبما تفضلينه على أب الانبياء ابراهيم خليل الله ، فقالت : الله عز وجل فضله بقوله : « واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي » ومولاي أمير المؤمنين عليه السلام قال قولا لا يختلف فيه احد من المسلمين : لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا ، فهذه كلمة ما قالها احد قبله ولا بعده ، قال : احسنت ياحرة فبما تفضلينه على موسى كليم الله ، قالت : بقول الله عز وجل (فخرج منها خائفا يترقب) وعلي بن ابي طالب عليه السلام بات على فراش رسول الله (ص) لم يخف حتى انزل الله عز وجل في حقه «ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله» قال : الحجاج احسنت يا حرة فبما تفضلينه على داود وسليمان قالت : الله فضله عليهما بقوله (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) قال لها في أي شيء حكومته قالت : في رجلين ، رجل له كرم ، والآخر له غنم في الكرم فنفشت الغنم في الكرم فرعته فاحتكما الى داود فقال : يباع الغنم وينفق ثمنها على الكرم حتى يعود الى ما كان عليه فقال له سليمان : لا يا أبت يؤخذ من لبنها وصوفها قال الله عز وجل « ففهمناها سليمان » ، وان مولانا أمير المؤمنين عليه السلام قال : سلوني عما فوق العرش سلوني عما تحت العرش سلوني قبل أن تفقدوني وانه عليه السلام دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله يوم فتح خيبر فقال النبي

ﷺ للحاضرين : أفضلكم وأعلمكم وأقضاكم علي ، فقال لها :أحسنت ياحرة فبما تفضلينه على سليمان ، فقالت ، الله فضله عليه بقوله تعالى « رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي » ومولانا أمير المؤمنين (ع) قال : طلقتك يا دنيا ثلاثا لا رجعة لي فيك ، فعند ذلك أنزل الله في حقه «تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين»فقال:احسنت ياحرة فبما تفضلينه على عيسى بن مريم ، قالت : الله تعالى فضله بقوله تعالى«وإذ قال الله يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ما قلت لهم الا ما أمرتني به ان اعبدوا الله ربي وربكم و كنت عليهم شهيداً مادمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد » فأخر الحكومة إلى يوم القيامة، وعلي بن أبي طالب(ع)لما ادعوا النصيرية فيه ما ادعوا قتلهم ولم يؤخر حكومتهم فهذه كانت فضائله لا تعد بفضائل غيره قال : أحسنت يا حرة خرجت من جوابك ولولا ذلك لكان ذلك ثم أجازها وأعطاها وسرحها سراحاً حسناً .

ولقد أفردنا في هذا الكتاب بحثاً مستقلا في بيان أفضلية الإمام أمير المؤمنين(ع) على الأنبياء حتى على أولي العزم من الرسل وأثبتنا ذلك بالدليل والبرهان .

﴿ تقسيم الفضائل المتجمعة فيه (ع) إلى نوعين أو ثلاثة ﴾

ثم إننا نستطيع أن نقول في بيان الفضائل المتجمعة في الإمام أمير المؤمنين(ع) بأنها تنقسم إلى نوعين ، فالنوع الأول يرجع إلى جهات ثلاثة ، اتصاله بالرسول ﷺ من حيث النسب والمصاهرة ، ثم الاخبار النبوية الواردة في مدحه (ع)وسمو منزلته عند الله ورسوله ، ثم القرآن والحديث الناطقان بأنه (ع) الوصي والخليفة .

والنوع الثاني يرجع إلى باقي فضائله (ع) تلك الفضائل التي قد سمت به رفعة

وامتاز (ع) بجمالها على كبار الصحابة .

وإذا نظرنا إلى الإمام أمير المؤمنين (ع) من جهة إضاءته بالنوع الثاني من هذين النوعين فإنا نراه (ع) بأنه المتعين لأن يكون له العرش والكرسي ، وبيده زمام الأمر والنهي ، كما يجب أن يكون (ع) عندئذ هو المستقل بالسلطة التنفيذية على الاطلاق وان منازعه (ع) في هذا شاذ عن المحجة البيضاء ، معاند للحق ، مخالف للعدل ، إذ قد فقد هذا النوع من الفضائل أفاضل الصحابة وأشرافهم واستقل عليه السلام وحده بشمراته اليانعة

كما نراه (ع) على هذا النحو إذا نظرنا اليه من جهة إضاءته (ع) بالنوع الاول من النوعين المذكورين ، إذ قد عري من هذا النوع المتوقد كرام الصحابة ومقربوهم عند صاحب الرسالة النبوية وفاز (ع) بشخصه فقط بكمال شرفه الأسمى

وإذا نظرنا إليه (ع) من جهة إضاءته بالنوعين معاً فبالأجدر والأحرى أن يكون (ع) هو المتربع فقط على عرش الخلافة الإلهية ، والمطمئن على كرسيها الجليل والمالك لزمام الدولة الإسلامية على الاطلاق بلا خلاف أبداً .

ولنا أن نجعل النوع الاول نوعين ، بأن نجعل الجهة الأولى والثانية نوعاً أولا ونجعل الجهة الثالثة وحدها نوعاً ثانيا ، ويكون ما عدا هذين النوعين من فضائله (ع) نوعا ثالثا .

وبعد النظر الدقيق فإنا نرى كل واحد من هذه الانواع الثلاثة سببا تاما بانفراده لأن يكون الإمام عليه السلام مالك أزمة الخلافة لا غيره إذ أن غيره عليه السلام قد فقد هذه الأنواع ثلاثتها ، مجتمعة ، ومتفرقة ، أما شخصه عليه السلام فلقد جمعها كلها .

﴿ حديث سعيد بن المسيب عندما جاء المسلمون لمبايعته (ع) ﴾

واليك في المقام حديثا طريفا جاء عن سعيد بن المسيب (كما في كتاب كشف الغمة) ، قال : لما قتل عثمان جاء الناس الى أمير المؤمنين عليه السلام حتى دخلوا داره فقالوا : نبايعك فمد يدك فلا بد للناس من أمير فقال (ع) : ليس ذلك اليكم إنما ذلك لاهل بدر فمن رضوا به فهو خليفة فلم يبق أحد من أهل بدر إلا أتى عليا عليه السلام وقالوا : ما نرى أحداً أحق بها منك فمد يدك نبايعك فقال عليه السلام : أين طلحة والزبير فكان أول من بايعه طلحة فبايعه بيده و كانت اصبعه شلاء فتطير منها علي عليه السلام وقال عليه السلام : ماأخالفه أن ينكث ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي (ص) جميعاً

والذي يظهر لنا من هذا الحديث أن انثيال المسلمين على الإمام (ع) لمبايعته إنما كان لما رأوا فيه (ع) من إضاءته بالنوع الأول ، أي اتصاله (ع) بشخصية الرسول (ص) من حيث النسب والمصاهرة وبالنوع الثالث ؛ أي اضاءته (ع) بسائر الفضائل ومانظر المسلمون في ذلك الحين إلى إضاءته (ع) بالنوع الثاني ؛ أي الحديث والقرآن الناطقان بأنه (ع) هو وصي الرسول (ص) وخليفته من بعده بل هم في غفلة عن هذه الجهة التي للنظر فيها ، الأهمية الكبرى عند أهل العلم

وعلى كل (وهنا الشاهد) فقد أدرك المسلمون ان للنوع الأول والثالث تمام الايجاب في استحقاق الخلافة لمن جمعها ؛ ونظر المسلمون بعد مقتل عثمان (بعد أن علموا أنه لا بد للمسلمين من راع وإمام ؛ فما رأوا الا أمير المؤمنين (ع) قد وجدهما ؛ ورأوا غيره قد عري منهما فحكموا إذ ذاك بتنفيذ البيعة له (ع) بدون تريث ؛ لذا قد ازدحموا عليه (ع) ازدحام ظمأى المعز على الماء .

وإن كان هذا المنصب له (ع) من حينما أطبق النبي (ص) فمه وأغمض عينيه ؛

لو عقل المسلمون وساروا على نهج العدالة والانصاف

وترى الإمام (ع) كيف قد اعتنى بأمرين هامين ؛ لقد اعتنى عليه السلام أولا ببايعة أهل بدر له ، وأفاد عليه السلام المسلمين بقوله : «ليس ذلك إليكم إنما ذلك لأهل بدر فمن رضوا به فهو خليفة» إن مناط الخلافة إنما هو بنظرهم ؛ وذلك لما لأهل بدر من المكانة السامية وسماع الكلمة ونفوذها في نفوس المسلمين بحيث اذا بايع أهل بدر فلا يتأخر غيرهم عن البيعة ولا يبقى عندئذ مقال لقائل ولا يضر تأخر من عداهم لو فرض وهذا بخلاف ما اذا بايع سائر المسلمين وتأخر أهل بدر عن البيعة فلا يؤمن انحلالها عندئذ ويبقى مجال واسع عند المسلمين للقال والقيل كما لا يخفى

ثم ترى اعتنائه عليه السلام ثانيا بطلب البيعة له من خصوص طلحة والزبير وفي هذا من السر ما لا يخفى

ما أنشده خزيمة لما بويع الامام (ع) على المنبر النبوي

ومثل هذا الحديث في الظهور المذكور ما أنشده خزيمة بن ثابت الأنصاري لما بويع أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ، قال

إذا نحن بايعنا عليا فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتن

ولِمَ يا خزيمة

نعم وجدناه أولى الناس بالناس انه أطبُّ قريش بالكتاب وبالسنن

فإن قريشا ما تشق غباره اذا ما جرى يوما على الظَّمَإ البدْن

وفيه الذي فيهم من الخير كله وما فيهم بعض الذي فيه من حسن

شعر أنيق يا خزيمة ، تنشده بنشاط وحماس أمام جماهير المسلمين وبمرأى ومسمع من خصوص طلحة والزبير

تهتف بشعرك هذا يا خزيمة في ذلك المحفل المهيب ، والمهرجان القائم لمبايعة أخ

الرسول ﷺ ووصيه أمير المؤمنين عليه السلام

وهذا شعرك يا خزيمة يزدان بصياغة متينة وتركيب جميل ، ونشير فيه أيها الشاعر العربي الى كمية من الحقائق الزاهرة في أبي السبطين علي عليه السلام

ولقد غاب عنك يا خزيمة من فضائله عليه السلام ومحاسنه أكثر مما ذكرت في شعرك هذا

نعم لقد ذكرت يا خزيمة في شعرك هذا الذهبي من لآلي جماله عليه السلام وكمالاته ما هو مسلم عند حملة الحديث ورواة الاخبار

ومتى أنشد خزيمة هذا الشعر البديع

نعم لقد أنشده وهو واقف بين يدي المنبر النبوي

وأين كان أمير المؤمنين عليه السلام حين انشاد خزيمة لهذا الشعر

أجل ؛ كان عليه السلام يتجلى بفضائله ومحاسنه فوق المنبر النبوي بمثل ما تبرز به الشمس متجلية بمحاسنها في قبة السماء

وهو يزهر عليه السلام بنور طلعته على هذا المنبر كما يزهر التبر ويلمع اذا قابل بشعاعه المتلألئ شعاع الشمس الوهاج

هذا وقد ملأ المسلمون فسحة مسجد الرسول (ص) وزواياه وهم مشرئبون بأعناقهم فرحاً ؛ ومتطلعون بأبصارهم الى محياه عليه السلام البهي ، ويتهافتون على يده عليه السلام لمبايعته ؛ ويترامون عليه استبشاراً منهم باستلامه عليه السلام ازمة الخلافة الإلهية

وخزيمة بن ثابت الانصاري يهتف بشعره في هذا الحال قائلا

اذا نحن بايعنا عليا فحسبنا ابو حسن مما نخاف من الفتن الخ

يرن صدى هذا الشعر في مسامع أمير المؤمنين (ع) في حال زانهُ وقارُ الخلافة

وسكينة الإمامة

وما ذلك الحال

نعم هو قيامه عليه السلام على المنبر النبوي ، يزهو ببهاء العلم كما يزهو عليه السلام بما هو مفطور عليه من فضيلة العدل والإخلاص، ويتجلى عليه السلام على هذا المنبر النبوي بمظاهر الزهد والورع والاحتياط ؛ كما تتجلى في أعطافه عليه السلام مطالعُ العطف والشفقة والحنان ، ويتجلى عليه السلام في هذا الحال بروح الجهاد ، وزهو الفروسية والشجاعة ، كما تتجلى فيه عليه السلام هيبة الوصاية والخلافة، وكما تبرق من جسمه نيّرات الحِكَم والأمثال ، بما هو عليه فيه من الحرص الشديد على احياء السنة واماتة البدعة .

لقد سطعت أنوار هذه الفضائل من أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر النبوي ، يبايعه المسلمون ، وخزيمة يهتف بشعره في هذا الحال قائلا

اذا نحن بايعنا عليا فحسبنا ... أبو حسن مما نخاف من الفتن

وانما أشار خزيمة في شعره هذا (وهنا الشاهد) الى انه عليه السلام قد جمع الفضائل التي بها تُستحق الخلافة ؛ ولم ينظر خزيمة الى انه عليه السلام يستحق الخلافة من جهة القرآن والسنة ، ولذا ترى خزيمة قد أعرض في شعره المذكور عن الاشارة الى هذه الجهة

﴿ أبيات ثلاثة لنصراني يشير بها إلى انه (ع) مجمع الفضائل ﴾

واليك في المقام أبياتا ثلاثة هي من طريف الشعر تنطق بأن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام مجمع الفضائل ، وهي هذه

علي أمير المؤمنين صريمة «١» ... وما لسواه في الخلافة مطمع

له النسب العالي وإسلامه الذي ... تقدم فيه والفضائل أجمع

«١» الصريمة العزيمة

ولو كنت أهوى ملة غير ملتي لما كنت إلا مسلما أتشيع

ولنعم ما صرح به هذا الشاعر ، ولقد أبدع في هذه المجاهرة الحقة، وأتى بالذهب المصفى .

أجل ، لقد صرّح بنورانية مذهب التشيع وقداسة الولاء لعلي عليه السلام حين قال

ولو كنت أهوى ملة غير ملتي لما كنت إلا مسلما أتشيع

وإنك لترى بأن هذا التصريح إنما كان نتيجة تلك الحقائق الثلاث التي صرح بها هذا الشاعر في البيت الثاني ، وهي

أولا ، انه عليه السلام أعلى العرب نسبا ، وأشرفهم حسبا

ثانيا ، انه عليه السلام أول المسلمين إسلاما وأقدمهم إيمانا

ثالثا ، انه استقل عليه السلام بالفضائل أجمع ، وفقد لذتها من سواه من عيون الصحابة

ولا يتسنى لأحد إنكار هذه الحقائق ، بل هي فيه عليه السلام أجلى من ضوء الشمس ، قد اعترف بها الخاصة والعامة من لدن بزوغ الهيكل المحمدي

ولعلك تقول : ان البيت الأخير من هذه الأبيات الثلاث يدل على أن قائلها ليس من المسلمين ، وذلك لقوله : « ولو كنت أهوى ملة غير ملتي : فمعناه أن ملته غير الملة الإسلامية .

فنقول : نعم ، هي لنصراني ، كما ذكر في كتاب « كشف الغمة » ان الخوارزمي وجدها لنصراني بخط الزجاج في مدح أمير المؤمنين عليه السلام

وقطعا ، ما قال هذا النصراني هذه الأبيات الثلاث إلا بعد أن خبر واقع الصحابة ونظر فيهم بدقة وأن أبيهم له لياقة الترشيح لمنصب الخلافة ، وأيهم عنده

الا هلية لأن تكون بيده السلطة التنفيذية المطلقة في دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ووزن عندئذ بعقله أفعالهم ، وقايس بين صفاتهم الكمالية وخدماتهم في الإسلام ، ودقق فيمن كان الرسول ﷺ أشد عناية به منهم .

ولِمَ صنع هذا النصراني ذلك

أجل ، حيث أن هذا النصراني يعلم بأن ذلك الترشيح إنما هو لمن ساد الصحابة بالعلم والفضل والزهد والتقى ، وان تلك السلطة إنما يتولاها من كان أكمل الصحابة بالخلال النفسية والغرائز الطبيعية ؛ وان عرش الخلافة انما يتربع عليه من كان أشد الصحابة جهاداً بين يدي الرسول ﷺ وأرخصهم بذلا للنفس والنفيس في سبيل حماية الدين

فنظر هذا النصراني ودقق في الصحابة من هذه الناحية

وكانت نتيجة هذا النظر والتدقيق ان علم ان أعلم الصحابة وأفضلهم وأزهدهم وأتقاهم وأورعهم عن الشبهات واشدهم تحملا للأذى في سبيل الله وصبراً للدفاع عن بيضة الاسلام انما هو الامام أمير المؤمنين علي عليه السلام

وعلم ان أعظم الصحابة جهاداً ونضالا عن شرف الرسول (ص) ؛ وأسخاهم بكل غال ورخيص انما هو أمير المؤمنين عليه السلام

كما قد علم بأن عناية الرسول ﷺ التامة انما كانت بأخيه وابن عمه علي (ع)

أجل ؛ لقد علم هذا النصراني ؛ بعد ان استقصى جهده في السؤال عن الصحابة والتتبع لأحوالهم ؛ ان عليا عليه السلام هو الجامع للمحاسن ، ولكل فضيلة ومنقبة ، ولمكارم الأخلاق ؛ ولكل صفة كمالية يمتاز بها خلفاء الأنبياء ويفضل بحسنها أسياد الامة عن بقية الرعية

وأشار الى هذه الجامعية بتلك الحقائق الثلاث من قوله

له النسب العالي واسلامه الذي تقدم فيه والفضائل أجمع

وجزم عندئذ بأن الخلافة انما هي للامام علي عليه السلام وذلك حين قال

علي أمير المؤمنين صريمة وما لسواه في الخلافة مطمع

كما قد جزم بأن مذهب التشيع هو المذهب الحق حين قال

ولو كنت أهوى ملة غير ملتي لما كنت إلا مسلما أتشيع

نعم ، إن بولاء علي عليه السلام تكون النجاة والسعادة ؛ وبالاعتصام به عليه السلام يرتاح الضمير ويطمئن القلب ، كما يدوم باتباعه عليه السلام السرور والنعيم في الفردوس الاعلى

هذي الفضائل لا قعبان من لبن شيبا بماء فصارا بعد أبوالا

أجل إن أمير المؤمنين (ع) بجمع الفضائل بكل ما فيها من أسرار وحقائق ، كما كان (ع) هو الأولى بكل ما لها من ثمرات ونتائج

وما أمير المؤمنين (ع) بفضائله إلا كما قال القائل

مناقب لجت في علو كأنها تحاول ثاراً عند بعض الكواكب

وما فضائله عليه السلام إذا قايسنا بينها وبين محاسن غيره إلا كما قال هذا القائل ايضا

محاسن من مجد متى يقرنوا بها محاسن اقوام تعد كالمعائب

إن فضائلك يا أمير المؤمنين لتأخذ بالنفوس مأخذاً رهيباً

إنها لتسيطر على المشاعر والحواس بما يتقد فيها من جاذبية فعالة

إنها لتشع أمام عيني وفي قرارة النفس مني وخلال القلب

إنها لتزهر لامعة بأنوارها في هذا الوجود وبين طبقات السماء وتحت الثرى

أجل إن فضائلك يا أبا الحسن لتبتسم مشرقة في هذا الكون بما أودع الله تعالى

فيها من نتائج العز والكرامة ، وثمرات الفوز والسعادة

لا يسعني يا أمير المؤمنين عندما أسرح النظر في فضائلك إلا أن أقول منشداً

رضيت بأن ألقى القيامة خائضاً دماء نفوس حاربتك جسومها
أبا حسن إن كان حبك مدخلي جحيماً فإن الفوز عندي جحيمها
وكيف يخاف النار من بات موقناً بأنك مولاه وأنت قسيمها

وخلاصة المقام أن أمير المؤمنين (ع) غني عن بيان فضائله ومناقبه ، إذ كانت فيه (ع) جلية مشرقة ، وها هي كتب الأوائل والأواخر قد استنارت بشعاع هاتيك الفضائل والمناقب ، وأصبح الخلف والسلف يقتبس من أنوارها ويهتدي بعلمها وعرفانها ، ولا أقول في الإمام (ع) إلا ما قال المتنبي وقد عونب على تركه لمدح أمير المؤمنين (ع) فقال

وتركت مدحي للوصي تعمداً إذ كان نوراً مستطيلا شاملا
وإذا استطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

أجل ، فها هي فضائل الإمام (ع) ومناقبه تشع أمام عينيك ، لا تزيد الناظر فيها إلا بصيرة ، كما لا تزوده إلا بنضوج في العقل ، وتنور في الفكر ، كما هي يوم القيامة بين يدي الآخذ بها وعن يمينه أنوار متلألئة تستولي بأشعتها على الخلائق في ذلك اليوم العسر ، وتسير بأهل الولاء الحيدري « بالشيعة » الى الجنان

وستقف في طي مباحث هذا الكتاب على تفصيل النزر من فضائله (ع) بتحليل فني يثلج الفؤاد ويضع العقل في نهله مثلاً

فأنت حي يا أمير المؤمنين بفضائلك الى آخر الدهر

وأنت تسطع يا أبا الحسن وتضيء بهذه الفضائل في هذا الوجود كما يضيء قمر الدجي وكما تسطع شمس النهار

لقد سرت يا أخا الرسول في هذا العالم ، والى جنبك تسير فضائلك ، ومن ست جهاتك تشع متلألئة ؛ وعلى رأسك تتقد تيجانها وتعشي ببريقها شهب السماء

لقد سرت يا ابا السبطين بفضائلك في هذا العالم سير أولي العزم من الرسل بمقدسات شرايعهم .

لقد سرت بها سير البدر الكامل بضياه الزاهر في الليل الحالك

لقد سرت بها سير الشمس بنورها المتوقد في ابراجها السماوية اذا تراكمت عليها الغيوم وازدحم في وجهها القتام

لقد سرت بفضائلك في هذا الكون وفيك يا ابا الحسن من سطوعها الوهاج ما يخترق المدن والقرى ويعتلي بسناه المتلألىء على الفيافي والقفار

كما قد افرغت بفضائلك يا ابا الحسن على شامخات الجبال وفي الروابي والمنبسطات ما به زهوها الطبيعي من مناظرها المتألقة بأنواع الزهر الجميل العطري في فصل الربيع الزاهي .

لقد سرت يا ابا الحسن وفيك من سطوع فضائلك منظر بهي يتجلى في فضاء هذا الكون .

اجل ، هو منظر من مناظر النور الإلهي يتجلى في هيكل الإمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام كما يتجلى بدورة العرش والكرسي و كما يتجلى عند سدرة المنتهى

لقد سرت يا ابا الحسن وفيك من سطوع فضائلك ما يلتهب في غياهب الظلمة من نور مشرق يرفع اسوادها المتفاقم

كما فيك من سطوع فضائلك لهب يتقد في حشايا الأبدان ، وينير بكهربائه في المشاعر والاعصاب

كما قد اودعت في النفوس يا ابا الحسن من عرف فضائلك الفياح ما تزدهر به عاطرة النفحات ، وتبقى من طيب شذاه خالدة الذكر والاثر مدى الليالي والايام أجل ، ولقد جللت يا ابا الحسن هيكل المجتمع الإنساني من حلل فضائلك حلل الهيبة والوقار ومنحته من بهاء فضائلك ما يكون به في عز ومجد ما تناغت الاطيار على فنون الدوح .

لقد سرت بفضائلك يا ابا الحسن سير الرسول محمد ﷺ مذ قام يدلي الى العالم بنواميس شريعته المقدسة ، ومذ نشط لتهذيب نفوس البشر بمكارم أخلاقه الفاضلة ، ومذ جد في تنوير افكار قريش وسكان الحجاز من منهل علمه العذب وينبوع حكمه البليغة .

ولقد سرت بفضائلك يا امير المؤمنين سير هذا الرسول الكريم مذ شرع ينشر اعلام دعوته الحقة ويرسل من انوار نبوته الإلهية ما به تنظيم صفوف الامم وتعديل الشعوب والقبائل .

لقد سرت بفضائلك يا ابا الحسن وسارت في مطلعك هذه الفضائل مستنيرة وانت تمشي الى جنب صاحب الرسالة المحمدية ﷺ مذ نهض لمحاربة الجهل بنور علمه الجم ، ومذ اجتهد في تغيير العادات الجاهلية المنكرة حتى ازالها وجعل ﷺ اخرى مكانها من العادات الكمالية ، المحبوبة لله تعالى ولعقلاء الامة الانسانية

ولقد سرت يا امير المؤمنين بفضائلك سير الصادق الأمين (ص) مذ ألجم بمعجز قرآنه فصحاء العرب وبلغاءهم ، ومذ أرجع ﷺ بآيانه ودلائله أرباب الجدال والخصومة أذلاء صاغرين يعترفون له (ص) بالفضل ولانفسهم بالعجز

أجل ، لقد سرتَ بفضائلك بين يدي الرسول (ص) في جميع هذه المشاهد النبويه وأنت المشرق الوضاء بحياك ومبسمك أمام محياه الأغر (ص) كلما قام وقعد

كما كنت بحزمك وإخلاصك تمهد له ﷺ طرق دعوتـه وتدفع عن قداسة شخصيته بواعث الضر والأذى ، هذا

وفضائلك يا أبا الحسن سائرة بشعاعها المتصاعد بين يديك ويديه (ص) ، معلمة بالنصر المحمدي ، وناشرة من لمعاتها في هذا الفضاء المستطيل أعلاماً زبرجدية من الظفر الحيدري والفتح الهاشمي العربي

ولم تزل يا أبا الحسن تقطع بفضائلك هاتيك المراحل السامية من حياتك ، التي مثلت فيها عيشَ من كان قبلك من أنبياء الله تعالى ورسله ، كما قد مثلت فيها باسمهم الخشن الصفيق ، وأنت الشعشعاني بفضائلك في هاتين المرحلتين الجسيمتين ، والقادر المتمكن عندهما من تناول ما طاب وحلى وشفّ ونعم

أجل ، وما زلت يا أبا الحسن تسير بفضائلك في المجتمع الإنساني سير الحكماء المتألهين ، وسير الأولياء الصالحين ، وسير العلماء العارفين ، وسير الأتقياء النقباء ، والنجباء الأطايب ، وسير الطاهرين من ولد آدم

لقد سرتَ بفضائلك يا أبا الحسن في هذا العالم سير أشراف الأمم ، وسير ملوكها العادلين ، وسير من مثل جمال السياسة وكمالها بالدين والتقى ، وسير من جدّ مدة عمره واجتهد لتوحيد الجموع ، وتأليف القلوب وتطهيرها من الأحقاد والأضغان

ولقد سرت بفضائلك يا أخا الرسول يوم بدر وحنين ؛ ويوم أحد والأحزاب ، ويوم أصبح النبي ﷺ هدف سيوف الناقمين عليه من كفرة قريش ومنافقي العرب ، فكنت يا أبا الحسن في هذه المشاهد الرهيبة ، الجاد النشيط ، والأوحدي في ثباته وصموده ؛ تدفع وأيم الحق بصدرك ونحرك شرّ هاتيك المواضي السفيانية ، كما تدفع بها شر العوالي الأموية عن وجه صاحب الرسالة المحمدية

نعم ، ولقد سرت بفضائلك يا أبا الحسن يوم كان الرسول ﷺ يرمي لأحقاد

بني قريضة ولأضغان الأبالسة من يهود خيبر ، فكنتَ الواحد الفرد في هذين المشهدين ، وما كان الفتح المحمدي فيهما إلا بيُمن بأسك ، ولا تم إلا بسيفك البتار ، وماغنم المسلمون فيهما من الغنائم الجسام إلا بفضل بسالتك وشدة صولتك ،وماذاقواطعم الحياة الحرّة إلا بجهادك النزيه عن حوزة الدين الحنيف كما كنت من قبل تختطف بحد ذي الفقار أرواح المحاربين للرسول ﷺ وتُلقي بأشلائهم على وجه الأرض جثثاً هامدة

ولقدسرت بفضائلك يا أبا الحسن يوم اشتغلتَ بتجهيز الرسول ﷺ ،والصحابة في معرض عنكما ومعزل ، ويوم اتخذت العزلة عنهم عبادة تجمع سور القرآن وآياته ، وهم عنك وعنه في جانب لا يرون لك في الخلافة نصيباً ؛ مع أنك خُلقتَ لها وخُلقتْ لك من قبل خَلْقِ السماوات والأرض وأنت ربُّها الفرد من قبل أن يخلق الله تعالى اللوح والقلم

ولم تزل يا أمير المؤمنين على نهج بصيرة وهدى في جميع أمورك وأحوالك ، وأنت تسير بغرّ فضائلك بين مكة والمدينة ، وبين البصرة والكوفة ، وبين النهروان وصفين ، وما كنتَ في هذه المواطن إلا مع الحق ، ولم تظهر فيها إلا بالعدل ، كما لم تكن إلا نورها المتلألىء في أرجائها المدلهمة

أجل ، وتلك فضائلك يا أمير المؤمنين تجللك ببهائها ، وتجللها بجمالك الطبيعي وانت تسري بها وهي في جبينك وملامحك اضوء من الشمس في قبة الفلك

نعم ولم تزل يا ابا الحسن تطوي مر الايام وصعابها وتلجأ في ليالي الغلس الى مناجاة ربك الاقدس ، يزينك الخضوع ، وصفاء النفس ، والفناء المحض في ذات الله سبحانه .

هذا وشعاع فضائلك ياامير المؤمنين متقد في روحك وجثمانك في لياليك هذه وايامك تلك . كما اتقدت انوار الخلافة في محياك وعارضيك ، وكما استعرت

هـذه الانوار واتقـد ذلـك الشعـاع حـين توجهت بحواسك اوافكارك الى منشيك الجليل ، وحين تفانيت امام عظمة الله تعالى صاعداً بروحك الى الملأ الأعلى وبالغا باقبالك عليه سبحانه مثل ما بلغ الرسول ﷺ حين دنى فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى

اجل لقد اتقد هذا الشعاع واستعرت تلك الانوار في سائر اعضائك وقواك حين هويت يا امير المؤمنين في محرابك ، وساعة جللك ابن ملجم المرادي بسيفه المسموم على ام رأسك .

ومن يا ترى أعلم جمع المصلين بهذا الخطب الأليم ، ومن أيقظ النائم الهادىء عند نزول هذه الكارثة الكبرى ، ومن أوجد ارتباك جمهور المصر لهذا القادح الجلل

أجل ، إن فضائلك النبيلة ياأمير المؤمنين هي التي كانت قد بعثت بأشعتها لتعلم من ضمه سور المسجد بماحدث في محرابه ، كما قد أعلمت سكان المصر في تلك اللحظة بوقوع ذلك الحادث الفظيع

وهكذا تروح وتغدو بفضائلك يا أمير المؤمنين ، وتركع وتسجد وهي فيك مشرقة وضاءة .

وأنت السعيد يا أبا الحسن مذ حملك أهلوك وشيعتك من محراب مسجد الكوفة إلى بيتك الآهل بالمجد والشرف ، والقائم على أعمدة التغاضي والحلم والمستنير بجمال الخلافة التي طبعها الله تعالى فيك من قبل إيجاد الكون

نعم ، لقد حملك أهلوك وشيعتك ، وفضائلك زاهية براقة فوق رؤوس الحاملين ومن جميع جهاتهم ، وحيث نظروا فهي ساطعة أمامهم ، كما هي براقة بشعاعها الملتهب في مجلسك المهيب ، وفي أكناف الكوفة ، وعندما استلقيت على فراشك تقاسي حرارة تلك الضربة القاسية ، وأنت الحامد الشكور ، والراضي بما كتب الله تعالى وحكم .

﴿ كتاب ابن مروان الى عمر بن عبد العزيز بشأن المرأة ﴾
﴿ وزوجها وأبيها وما ذكره العقيلي من ﴾
﴿ الحديث النبوي في فضل علي(ع) ﴾

أبى الله تعالى إلا إظهار فضل الإمام أمير المؤمنين (ع) بالرغم من سيطرة اليد العادية « اليد السفيانية والمروانية » وأبى جل وعلا إلا إعلاء ذكر أبي الحسن علي عليه السلام في كل ناد ومشهد بالرغم من التشديد والفتك والانتقام أيام الاستعمار الأموي والاستعباد المرواني ، لقد شدد هذا المستعبد وذاك المستعمر على كل صحابي وتابعي قاما بنصرة الإمام علي (ع) وفتك أهل السلطة والنفوذ من الفريقين «الاموي والمرواني » بكل من صرح باسم علي (ع) مدحا وثناء ورواية في جلالة شأنه (ع) ولقد بالغ آل أمية وبنو مروان في الانتقام من كل من اخلص الولاء لأمير المؤمنين عليه السلام بلا تأثم ولا تحرج ، فبالرغم من هذه العوامل العادية أبى الله تبارك وتقدس إلا أن يوجد رجالا يزينون المجالس والمحافل والمجتمعات بنشر المآثر النبيلة التي نثرها النبي ﷺ في اخيه وابن عمه علي (ع) ، وأبى تعالى شأنه إلا أن يخضع النفوس المتمردة ويذل الآناف المتجبرة في كل عصر لسماع ما نوه به الرسول ﷺ من الفضائل والمناقب في حق عضيده ووزيره امير المؤمنين (ع) وعدم الممانعة في ذلك ، ان في هذا كله دليلا على أن لله سبحانه تمام العناية بشخص وليه وصفيه علي بن ابي طالب ، وبرهانا جليا على ان ابا الحسن (ع) آية من آيات الله تعالى الثابتة التي لا يتم للكون انتظام إلا بها ولا يحيى البشر حياة سعيدة إلا بشعاعها المتلألىء

انا لا أريد ان اوسع المقام بيانا وتحليلا حول هذا المبحث بل أقنع بهذا اليسير من البيان اعتماداً على ما ذكرناه مفصلا في ضمن مباحثنا الآتية واكتفي بهذه الإشارة الإجمالية هنا فإن بها الكفاية لمن كان له أذنان

واني اثبت في المقام نزراً من خرائد المحاسن والفضائل للإمام امير المؤمنين (ع) التي جاءت في ازمان مختلفة وظروف متفاوتة لا تخلو دائما من حرج وصعوبة عند ذكر فضيلة او منقبة للإمام علي (ع)

وإليك في المقام من هذا النزر حديث المرأة وزوجها وابيها عند عمر بن عبد العزيز وما ذكر الزوج في هذا المجلس الرهيب من افضلية علي (ع) على عموم الصحابة وانه خير هذه الأمة بعد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما حدث به العقيلي من فضل علي امير المؤمنين (ع) كل ذلك بمرأى ومسمع من عظماء بني امية الذين كانوا في ذلك المجلس الحاشد الذي يرأسه عمر بن عبد العزيز ، وذلك كما ذكره في شرح قصيدة أبي فراس عن ابن ابي الحديد قال : بينما عمر بن عبد العزيز جالس في داره إذ دخل عليه امرأة أدماء طويلة حسنة الجسم والقامة ورجلان متعلقان بها ومعها كتاب من ميمون بن مهران فدفعوا اليه الكتاب ففضه فإذا فيه ، بسم الله الرحمن الرحيم من ميمون بن مهران إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز سلام عليك ورحمة الله وبركاته أما بعد فقد ورد علينا أمر ضاقت به الصدور وعجزت عنه الأسماع فهربنا بأنفسنا عنه ووكلناه لعالمه لقول الله عز وجل «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم» وهذه الإمرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها وان أباها زعم أن زوجها حلف بطلاقها إن علي ابن أبي طالب (ع) خير هذه الأمة وأولاها برسول الله (ص) وإنه بزعم ان ابنته طلقت منه فإنه لا يجوز في دينه ان يتخذه صهراً وهو يعلم انها حرام عليه كأمه وان الزوج يقول له : كذبت واثمت فقد والله بر قسمي وصدقت مقالتي وهي امرأتي على رغم انفك وغيظ قلبك فاجتمعوا إلي يختصمون في ذلك فسألت الرجل عن يمينه فقال : نعم قد كان ذلك وقد حلفت بطلاقها إن علي بن ابي طالب (ع) خير هذه الامة واولاها برسول

الله (ص) عرفه من عرفه وأنكره من أنكره فليغضب من يغضب وليرض من يرضى وتسامع الناس بذلك فاجتمعوا وإن كانت مجتمعة فالقلوب متفرقة وقد علمت يا أمير المؤمنين اختلاف الناس في أهوائهم وتسرعهم إلى ما فيه الفتنة فأحجمنا عن الحكم لتحكم بما أراك الله وانها تعلقا بها وأقسم أبوها أن لا يدعها معه واقسم زوجها أن لا يفارقها ولو ضربت عنقه إلا أن يحكم عليه حاكم لا يستطيع مخالفته والامتناع منه فرفعناهم إليك يا أمير المؤمنين أحسن الله توفيقك وأرشدك إلى الحق وكتب في أسفل الكتاب هذه الأبيات

اذا ما المشكلات وردن يوماً ... وضاقت في تأملها العيون
وضاق القوم ذرعا في بناها ... فأنت لها أبا حفص امين
لأنك قد حويت العلم طراً ... وأحكمك التجارب والفنون
وخلفك الإله على البرايا ... فحظك فيهمُ الحظ المتين

فجمع عمر بن عبد العزيز بني هاشم وبني أمية وأفخاذ قريش ثم قال لأبي الامرأة: ما تقول يا شيخ قال يا أمير المؤمنين هذا الرجل زوجته ابنتي وجهزتها اليه بأحسن تجهيز أمثالها حتى اذا أملت خيره ورجوت صلاحه حلف بطلاقها كاذباً ثم أراد الإقامة معها فقال عمر: لعله يا شيخ لم يطلق امرأته فكيف حلف فقال الشيخ: سبحان الله ان الذي حلف عليه لأوضح كذبا وأبين حنثا من أن يختلج في صدري منه شك مع كبر سني وعلمي، انه زعم أن علي بن أبي طالب (ع) خير الأمة وإلا امرأته طالق ثلاثا؛ فقال للزوج: ما تقول اهكذا حلفت قال: نعم، قيل: لما قال نعم كاد المجلس يرتج بأهله وبنو أمية ينظرون اليه شزراً إلا انهم لم ينطقوا بشيء وهم ينظرون لعمر بن عبد العزيز فأكب عمر مليا ينكث الأرض بيده والناس صامتون ينظرون ما يقول فرفع رأسه وقال

اذا ولي الحكومة خير قوم اصابوا الحق والتمسوا السدادا
وما خير الأنام اذا تعدوا خلاف الحق واجتنبوا الرشادا

ثم قال للقوم : ما تقولون في يمين هذا الرجل فلم ينطقوا بشيء فقال : سبحان الله قولوا فقام رجل من بني امية وقال : هذا حكم في فرج ولسنا نجترىء على القول فيه وأنت أعلم بالقوم مؤتمن لهم وعليهم فقال له عمر : قل ما عندك فإن القول ما لم يحق باطلا او يبطل حقا جائز علي في مجلسي قال : لا أقول شيئا ، فالتفت عمر الى رجل من بني هاشم من ولد عقيل بن ابي طالب فقال له : ما تقول يا عقيلي فيما حلف عليه هذا الرجل فاغتنمها العقيلي وقال : يا امير المؤمنين ان جعلت قولي حكما وحكمي جائزاً قلت وان لم يكن كذلك فالسكوت اوسع لي وابقى للمودة فقال له عمر : قل فقد جعلت قولك حكما وحكمك ماضيا فلما سمع بنو امية قالوا : ما انصفتنا يا امير المؤمنين إذ جعلت الحكم الى غيرنا ونحن من لحمتك واولى الناس بك فقال عمر : اسكتوا عجزاً ولؤما عرضت عليكم فما انتدبتم له فقالوا : ما اعطيتنا ما اعطيت العقيلي ولا حكمتنا كما حكمته قال عمر : ان كان اصاب واخطأتم وحزم وعجزتم وابصر وعميتم فما ذنب عمر لا ابا لكم ، اتدرون ما مثلكم قالوا : لاندري ، قال : لكن العقيلي يدري ، ثم قال له : ما تقول يا عقيلي قال : يا امير المؤمنين مثلهم كما قال الشاعر

دعيتم الى امر فلما عجزتمُ تناوله من لا يداخله العجز
فلما رأيتم ذاك ابدت نفوسكم ندامى وهل يغني من القدر الحرز

فقال عمر : احسنت يا عقيلي واصبت فقل جواب ما سألتك فقال : يا امير المؤمنين بر قسمه ولم تطلق زوجته ، قال : من اين علمت ذلك قال : انشدكم الله يا امير المؤمنين هل تعلمون ان رسول الله (ص) قال لفاطمة (ع) وهو عندها في

بيتها عائد لها : يا بنية ما عليك قالت : الوعك يا ابتاه و كان علي (ع) غائبا في بعض حوائج النبي (ص) فقال (ص) لها : تشتهين شيئا قالت : نعم ، اشتهي عنبا وانا اعلم انه عزيز وليس هذا بوقت عنب فقال رسول الله (ص) : ان الله قادر على ان يجيئنا به ثم قال ﷺ : أللهم ائتني به مع افضل امتي عندك منزلة فطرق علي (ع) الباب ومعه مكتل قد القى عليه طرف ردائه فقال النبي ﷺ : ما هذا ياعلي فقال (ع): عنب التمسته لفاطمة (ع) فقال النبي ﷺ : الله اكبر الله اكبر اللهم كما سررتني بأن حظيت عليا بدعوتي فاجعل فيه شفاء لابنتي ثم قال ﷺ : كلي على اسم الله يا بنية فأكلت (ع وما خرج النبي ﷺ حتى برئت ؛ فقال عمر بن عبد العزيز : صدقت وبررت يا عقيلي أشهد اني سمعت هذا الحديث ووعيته ، يا رجل خذ بيد امرأتك وإن عرض لك أبوها فاضرب وجهه ثم قال عمر : والله يا بني عبد مناف ما نجهل ما يعلم غيرنا وما بنا إلا عمى في ديننا كما قال الشاعر

تصيدت الدنيا رجالا بفخها فلم يدر كواخيراً بل احتقبوا شرا
وأعماهمُ حب الغنى وأصمهم فلم يدر كوا إلا الخسارة والوزرا

قال : فكأنما ألقم بنو أمية حجراً ومضى الرجل بامرأته و كتب عمر بن عبد العزيز إلى ميمون بن مهران ؛ أما بعد فإني فهمت كتابك وورد الرجلان والامرأة وصدق الله تعالى يمين الزوج وأبرّ قسمه وأثبته على نكاحه فاستيقن ذلك واعمل عليه والسلام

لقد اعترف عمر بن عبد العزيز بأن الحق لعلي وأبنائه الغر عليهم السلام ، وأن توليه وتولي أسلافه قبله انما كان تعديا محضاً على قداسة علي وأبنائه الأطهار ، لقد اعترف عمر بأن الدنيا قد صادتهم بحبالها ، وأعماهم حبها عن الحق ، وأصمهم الاغترار بزخرفها المموه عن سماع الدعوة الإلهية ؛ لقد اعترف عمر بن عبد العزيز بأن حب النفوذ قد استولى على جميع حواسهم ، وسيطر على كل ما عندهم من شعور وإدراك

حتى أنساهم ذكر الله تبارك وتقدس وأبعدهم عن الخير والهدى ؛ هكذا تفعل الدنيا بمن ركن اليها فلا تدعه يبصر رشده ، ولا ترميه وأبيك الا في المهالك ، نعم ان لذة الامر والنهي تعمي الانسان عن ارجاع الحق لاهله وتذره يخبط خبط عشواء في ليلة ظلماء ، وأي لذة أعظم من هذه اللذة « لذة الامر والنهي ، لذة النفوذ والرئاسة »

لقد صبرتُ عن لذة المال أنفس وما صبرتُ عن لذة الامر والنهي

لقد خاب يا أمير المؤمنين ، يا ابا الحسن مَن ابتزكم حقكم ؛ وخسر والله من تعدى عليكم بيد او لسان ، وباء بغضب من الله وعذاب دائم

واذا كان مثل عمر بن عبد العزيز المشهور بالزهد والورع قد صادته الدنيا وخدعته فكيف بأسلافه العتاة المردة ، كمعاوية ، ويزيد ومروان ومَن كان على شاكلتهم من أبنائهم والتابعين لهم ، الذين ما عرفوا للزهد معنى ولا للورع حداً ، والذين تجاهروا بارتكاب المنكرات وهتك الحرمات واراقة دماء الصلحاء والأولياء واولاد الأنبياء ، فكيف لاتصيد الدنيا أمثال هؤلاء بحبالها ، كيف لاتجعلهم عبيداً أرقاء لها ، كيف لاتستخدمهم بظلم آل محمد (ص) والتعدي على قداستهم بكل ماللتعدي من جور وانتقام

واذا كان ولاة الامر ، وارباب الحل والعقد ، والمتربعون على عرش الخلافة ، والمتصرفون في الاموال والانفس والاعراض كيف شاؤوا ، مثل معاوية ، وابنه يزيد ، ومروان بن الطريد ؛ ومَن حذا حذوهم وجرى على منوالهم وسنتهم « فعلى الإسلام والعرب السلام »

لقد أشرق نور علي (ع) في ذلك المجلس الذي قد ضم الطغام من بني أمية ، وأخضع الله تبارك وتقدس فيه نفوسهم وأذل آنافهم عندما تلي فيه فضل أمير المؤمنين عليه السلام علناً بينهم بالرغم منهم ومن كون السلطة بأيديهم وهم الأعداء الألداء لعلي وأبنائه الأطايب عليهم السلام ، وثبت جهاراً في ذلك المجلس المسيطر بسلطانه

أن عليا (ع) خير هذه الأمة وأفضل من ضمه الرسول (ﷺ) اليه وقر بـه منه ، وانصرف الزوج قرير العين بزوجته ، مسروراً بأن الحق في جانبه ، مصفقا بيديـه طربا بأن عليا (ع) خير البشر بعد سيد الرسل محمد ﷺ

أجل لقد انصرف الزوج مثلوج الفؤاد وترك وراءه أولئك الطغـام من بني أمية في تلاوم وخذلان ، تركهم كأنما على رؤوسهم الطير ، تركهم لا يبصرون طريقهم عندما نشر بينهم تلك المنقبة الجليلة في أخي الرسول وابن عمه علي (ع) ، تركهم وقد ذر الرماد في عيونهم ، تركهم وزند الغيظ يقدح في صدورهم « قـل موتوا بغيظكم ، مأواكم جهنم وبئس المصير »

معاوية بن يزيد بن معاوية يتلو فضل علي (ع)

ويعترف بغصب جده وأبيه للخلافة

واليك في المقام أيضا مقالة معاوية بن يزيد بن معاوية حينما رجع إلى نفسه مبتغيا لها النجاة والسلامة مفكراً بأن الخلافة هل وصلت اليه بحق أم لا ، فإليك هذه المقالة وذلك كما نقل في شرح قصيدة إبي فراس عن الخوارزمي قال : لما بويع معاوية بن يزيد بن معاوية وكان باراً نقياً فاضلا وكان ولي عهد أبيه خطب الناس فقال : أيها الناس ما أنا بالراغب في التأمير عليكم ولا بالآمن من شركم ، ألا وان جدي معاوية نازع في هذا الامر من كان أولى به في قرابته وقدمه ، أعظم المهاجرين قـدرا ، ابن عم نبيكم ﷺ ، وزوج ابنته ، ومنها بقية النبيين وسلالة خاتم النبيين ، فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى نزلت به منيته فتجاوز الله عنـه « لا تجاوز الله عنه » ثم تقلد أمره أبي وكان غير خليق للخلافة فقلّت مدته وانقطعت آثاره وصار حليف حفرته وأعماله ولقد أنسانا الحزن له الحزن عليه فيا ليت شعري هل أقيلت عثراته وهل أعطي أمنيته أم عوقب بإساءته فإنا لله وإنا إليه راجعون ثم صرت أنا

ثالث القوم ، والساخط فيما أرى اكثر من الراضي ومـا كنت لأحتمل آثامكم والقى الله بتبعاتكم فشأنكم بأمركم ، فقال مروان : يا أبا ليلى ، سنة عمرية ، فقال له : يا مروان تخدعني عن ديني ألتني برجال كرجال عمر أجعل الأمر بينهم شورى ؛ والله لئن كانت الخلافة مغنما فلقد أصابنا منها حظ ؛ وإن كانت شراً فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها ، ثم نزل فقالت له أمه : يا بني ليتك كنت حيضة في خرقة ، فقال : وأنا وددت ذلك يا أماه ، أما علمت ان لله تعالى ناراً يعذب بهـا من عصاه وأخذ غير حقه ، فعاش أربعين يوماً ومات ، وقيل له : إعهد إلى من أحببت فـإنا له سامعون مطيعون فقال : أتزود مرارتها ، واترك لبني امية حلاوتها ، وقيل : كان له مؤدب يميل إلى علي (ع) فظن به آل ابي سفيان انه دعاه إلى هذه الخطبة فأخذوه بعد موته « اي بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية » فدفنوه حيا

انظر في هذه المقالة وتفكر في العناية الإلهية كيف تحوط امير المؤمنين (ع) وتكتنفه حيا وميتا ، فلعلي (ع) في كل وقت وزمن ، في كل شهر وسنـة ، في كل يوم وليلة ، وفي الغدو والآصال ، ناصر ومعين يبرز فضله (ع) بين الملأ وعلى رؤوس الاشهاد ويعلن بأفضليته على جميع الصحابـة ، واحقيته بمنصب الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم

ان له (ع) من الله تبارك وتقدس تأييداً خاصاً يلحظه ويرعاه إظهاراً للحق في جانبه وإبطالا لما ابتدعه اعداؤه وارتكبوه من ظلم وعدوان

لم يكن فضل امير المؤمنين (ع) بالخفي على الصحابة وعند بني امية وآل مروان ولا بالأمر المجهول عند شيوخهم وكهولهم وشبانهم ، بل ان سمو فضله (ع) اجلى من الشمس المتلألئة في رابعة النهار ، ولكن الانقياد للهوى ؛ والاصغاء لدواعي النفس الأمارة ، والانهماك في الشهوات واللذات ، والأخذ بوحي الشيطان ووسواسه

كل هذا عوامل لهجر الحق والإلفة للباطل ؛ كله بواعث لترك الفضيلة ولمواقعة الرذيلة .

أجل إن حب الإمرة والنفوذ يُعمي العيون عن الحق ، ويصم الآذان عن وعي ما نزل به الوحي السماوي من غر الفضائل ولآلي المناقب في الإمام أمير المؤمنين (ع)

يسعد رجال ويحيون حياة طيبة لا يشوبها عناء ولا نصب ولا يُكدرها حزن ولا ترح ؛ يسعدون ويحيون بالورود على منهل هذا الإمام الطهر أبي الحسن علي (ع) ويخلدون بولائه في جنان ليس فيها إلا المسرة والنعيم ، ليس فيها الا البهجة والارتياح ليس فيها الا العز والكرامة ، ليس فيها الا ما تقر به العين وتأنس به النفس من مرتع خصب ومشرب عذب ، وجوار وولدان ، وحور مقصورات في الخيام كأنهن بيض مكنون لم يطمثهن انس قبلهم ولا جان

كما يشقى آخرون ويخسرون مذ جهلوا قدر علي (ع) واستخفوا بحرمته ؛ وأنفوا عن الاعتصام به والانقياد والتسليم له في جميع الأحوال ؛ يشقون ويخسرون بالانحراف عمن نصبه الرسول (ص) يوم الغدير ، ويلقون ضلالا وغيا بالعداء لمن فدى النبي (ص) بنفسه ليلة المبيت على الفراش ، لا يفلحون وربك ابداً ، وهم الأخسرون أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا ، يشقى هؤلاء ويخسرون ويخلدون في نار وقودها الناس والحجارة ، في نار ملؤها الحسرة والندم حيث لا ينفعان في نار لهبها متصاعد ، وشررها متطاير ، وأهلها بين أطباقها يتعاوون عوى الكلاب ، ويصرخون فيها من شر ما يرون ومن هول ما هم فيه من عذاب شديد لا محيد عنه ولا خلاص منه

ولئن تنعم أخصام علي (ع) في دنياهم ، وعاشوا آمنين مطمئنين في ظل القصور وعلى الأسرة والفرش وتم لهم انقياد العامة واستولوا على خزائن الأموال ولكن

يا للأسف وكل الأسف فعما قليل يحال بينهم وبين هذا كله كأن لم يكن شيئاً مذكورا ، وعما قريب يعلمون أن جميع ما ترفهوا به من نعيم وسرور دنيويين كأنما كان أحلاما وأوهاما ، وأن الخير كل الخير في اتباع الحق والعمل بالفضيلة ، والشر كل الشر والخسران الدائم في اتباع الباطل والعمل بالرذيلة ، فعما قريب يكون هذا كله بلا ريب ويراه أخصام علي (ع) عن عيان ومشاهدة « الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا »

حقا إن اخصام علي (ع) لينتبهون في هذه المرحلة « مرحلة خروج الروح من الجسد ، ومشاهدة نتائج الأعمال بعد الموت ، انهم وربك ليعترفون في هذه المرحلة بأنهم قد أجرموا مع علي (ع) اكبر اجرام وامضه وظلموه أشد ظلم وأفظعه ، حين تقدموا عليه وانحرفوا عنه وتجاهروا بالعداء له بغضا وحسداً

إن الانتباه في هذه المرحلة لا يدفع ضراً ، كما لا يجدي الاعتراف بالظلم والجريمة نفعاً .

أجل ان هذا التقدم والانحراف والعداء جرائم لا تغفر ، وكبائر لا تقبل الصفح وعثرات لا تقال .

بيد أن هذه الجرائم والكبائر لتأخذ بأيدي أربابها وهم أذلة صاغرون وترمي بهم في تلك النار الموجحة ، ذلك بما كسبت أيديهم من قبائح الاعمال ؛ ذلك بما افتروا على الله الكذب ، ذلك بما ارتكبوه من ظلم وجور وتعد وبهتان على قداسة الإمام أمير المؤمنين (ع)

أما أمير المؤمنين (ع) فهو المؤيد المنصور حيا وميتا ، هو المؤيد المنصور حين يقف على شفير جهنم فيقول للنار : هذا ولي فذريه وهذا عدوي فخذيه ، وحين تخاطبه النار قائلة : ذرني يا علي فقد أطفأ نورك لهبي ، وحين يدفع إليه الرسول ﷺ ،

مفاتيح الجنة ومقاليد النار ، وحين يجلس النبي ﷺ على درجة الوسيلة وهي الف مرقاة ما بين المرقاة إلى المرقاة مسير الفرس الجواد شهر ، فالنبي ﷺ في أعلاها وعلي (ع) أسفل منه بدرجة ، فأمير المؤمنين (ع) هو المؤيد المنصور في هذه المشاهد الرائعة البهيجة ، وحين يقف على الحوض يوم العطش الأكبر فيسقي أولياءه وشيعته وحين يستقل (ع) بلواء الحمد يوم العرض فلا يستظل به إلا محبوه وأهل الإخلاص له وفريق الأنبياء والرسل

وهو (ع) ذاك المؤيد المنصور حين يرجع معاوية بن يزيد بن معاوية إلى نفسه ويقرعها بعصي الإهانة والتوبيخ ويخلعها من الخلافة معترفا بأن هذا الحق إنما هو لعلي وأبنائه الأطهار (ع) وان استيلاء جده معاوية وأبيه يزيد على زمام الخلافة إنما كان منهما تعدياً محضاً وظلما لعلي وأبنائه بلا ريب

إن أمير المؤمنين (ع) هو المؤيد المنصور حين يقف معاوية بن يزيد بن معاوية خطيباً في مجتمع بني أمية وفيهم عظماؤهم وكبارهم وذوو الشأن الرفيع منهم ، وأمام أهل الشام يقف فيهتف بينهم باسم علي (ع) وهو أبغض الأسماء اليهم ، ويعلن لهم بأن جده وأباه قد ارتكبا مع علي وأبنائه خلاف الحق وخلاف ما جاءت به الشريعة الإسلامية ، ويا له من موقف هائل مروع يقوم فيه معاوية هذا على منبر دمشق وأمامه هاتيك الجموع الغفيرة من بني أمية ومن مختلف القبائل وهو غير مكترث بما يعقبه موقفه من ضجة ولا هايب لما سيلقاه من عشيرته من مجابهة خشنة وكلام غير مرضي ، ولقد سمع بالوقت ذاته من أمه ما لا يرضيه بعد ما نزل عن المنبر إذ قالت له: يا بني ليتك كنت حيضة في خرقة ؛ وما هذا إلا كلام جاهلة حمقاء أعماها عن الحق حب النفوذ والإمرة ، ودفعها الى مثل هذا الكلام ما هي فيه من زهو وغرور وترف ونعيم ، اما ابنها معاوية بن يزيد فلقد أبصر رشده وتنبه إلى نفسه تنبه الخائفين من

العقوبات الإلهية ، لذا تراه قد أجابها بجواب صائب يكشف عن معرفة وخوف ووجل إذ قال لها : وأنا وددت ذلك يا أماه أما علمت أن الله تعالى ناراً يعذب بها من عصاه واخذ غير حقه ؛ لقد علم معاوية هذا أن مآله إلى النار إن سلك مسلك جده وابيه بتولي الخلافة وود ان يكون حيضة في خرقة فيسلم من النار ولا يكون إنسانا فيتولى الخلافة ويكون مصيره بعد ذلك إلى النار ؛ لقد صدق ورب العزة واصاب بهذا الكلام عين الواقع وعلى هذا الطراز من الجمال والكمال تكون ثمرات التأمل والتفكير والرجوع إلى الله تعالى فيما يصلح النفس وينجيها من الأهوال والشدائد يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من اتى الله بقلب سليم

لقد وقف معاوية بن يزيد بن معاوية على منبر دمشق ، ذلك المنبر الذي تربع عليه باطمئنان جده وابوه من قبل مدة من الزمن لا يستهان بها ؛ ونادى قومه وعشيرته وجماعات اهل الشام بنداء مثل الحق والصواب والعدالة والانصاف ، واعلمهم بما للامام امير المؤمنين (ع) من جلالة الشأن وسمو المكانة عند الله ورسوله ﷺ اعلمهم بما لعلي (ع) من الفضائل التي لا يشاركه فيها صحابي مهما كان سيداً جليلا اعلمهم بأن جده واباه لقد كانا لعلي وابنائه (ع) ظالمين ؛ اعلمهم بأن الخلافة منصب إلهي خطير ليس لأبيه ولا لجده فيه حظ ولا نصيب ؛ ولا لبني امية عامة ، ولا لأحد من المهاجرين والانصار ، ولا لأجل شخصية في قريش واسماها ، ليس عند احد من هؤلاء القابلية والاستعداد للقبض على سلطان الخلافة والقيام بشؤونها كما يريد الله تعالى ورسوله وكما تريد الانسانية الصحيحة ، بل إنما الخلافة حق اختصاصي بعلي وأبنائه (ع) ، فعلي وأبناؤه هم أهل تلك القابلية والاستعداد ، وهم الذين عرفهم الله تعالى ورسوله بكمال القيام بشؤونها كما يريدان وكما تفرضه الانسانية الحرة

لقد أعلمهم بهذا كله وهو قائم على ذلك المنبر المستطيل حين ملأ أسماعهم بقوله

ألا وان جدي معاوية نازع في هذا الأمر « يعني الخلافة » من كان أولى بـه في قرابته وقدمه أعظم المهاجرين قدراً ابن عم نبيكم ﷺ وزوج ابنته ومنها بقية النبيين وسلالة خاتم النبيين فركب جدي منه ما تعلمون وركبتم معه ما لا تجهلون حتى نزلت به منيته ، ثم تقلد أمره أبي وكان غير خليق للخلافة فقلّت مدته وانقطعت آثاره وصار حليف حفرته وأعماله ولقد أنسانا الحزن له الحزن عليه فيا ليت شعري هل أقيلت عثراته « لا وربك لا أقيلت عثراته » ، وهل اعطي أمنيته « لا والذي أنشأ الكائنات لا أعطي أمنيته » أم عوقب بإساءته « أجل لقد عوقب بإساءته بلا ريب وهو في أسفل درك من الجحيم » ، ثم عطف القول على نفسه فقال : وما كنت لأحتمل آثامكم وألقى الله بتبعاتكم فشأنكم بأمركم »

لقد علم انه إذا تقلد الخلافة فقد عرض نفسه لتحمل جميع الآثام التي يقترفها مبايعوه والراضون بخلافته من بني أمية وغيرهم ، وهذا الكلام منه دليل على أن من يتربع على عرش الخلافة وهو ليس من أهلها فقد احتمل كل ذنب يرتكبه كل من شايعه وبايعه ورضي به ، ويعاقب حينئذ بعقابين ، عقاب غصب الخلافة وهو ذلك العقاب الشديد المر الذي لايطاق ، ويضاف اليه العقاب الآخر ، هو عقوبات الذنوب التي يجنيها كل من وضع يده بيده ، وكان به راضيا ، وله ناصراً ومعيناً ، الى مئات السنين ، والى منتهى الكون .

لقد فر معاوية بن يزيد من هذين العقابين وطلب لنفسه النجاة والسعادة حين رفض الخلافة وعندما صرح بأنه ليس من أهلها ولا هي له ولا لأمثاله من الماضين والباقين .

ولا يلحظ بقوله : « فشأنكم بأمركم » جهة الايجاب ليكون معناه أنكم انتم اختاروا خليفة فيرجع الى امره لهم بذلك فان هذا خلاف غرضه المقصود له من ارادته

عدم التدخل بأمر الخلافة بكل وجه ، بل معناه ، اذهبوا انتم والخلافة تختارون خليفة اولا تختارون فهذا راجع اليكم لا ادخل في هذا أصلا لا سلبا ولا ايجابا ، وهذا النهج من الكلام متعارف عند ارادة عدم التدخل بجهتي الايجاب والسلب في أمر من الامور

إن هذا الشكل من البيان لم يقع في نفس مروان موقعه ولم يرق له مسمعه ، لذا خاطبه بقوله : « يا أبا ليلى سنة عمرية » خاطبه بهـذا وهو قائم بعد على المنبر ، نعم يطلب الوزع ابن الوزع ، مروان ابن الطريد من معاوية بن يزيد أن يجعل الخلافـة شورى كما جعلها عمر بن الخطاب كذلك بين ستة ، وكأن مروان هذا يعتقد انه لا محالة يكون أحد رجال الشورى لو صيرها كذلك إذ هو شيخ بني أمية وأطعنهم بالسن والمنظور اليه من بينهم والمعروف عندهم بشدة العداء لعلي وأبنائه (ع) وجميع بني أمية يكرهون أهل هذا البيت ويبغضون ولد علي وفاطمة سوى معاوية بن يزيد ابن معاوية منهم ، وكأن مروان يعتقد ايضا ان رجال الشورى لا محالة يتم رأيهم على انتخابه ولا أقل انه يفوز بأكثرية الأصوات له ، ورجال الشورى بنظره انما تكون مؤلفة من بني امية لا سواهم لو كان معاوية بن يزيد قد جعل الخلافة شورى

ان معاوية بن يزيد حكيم في المقام ، وما كان له ذلك الموقف المشهود إلا لأنه حكيم ملتفت إلى نفسه ، مفكر في مصيره بعد نفاد عمره ؛ خائف من نار الآخرة ، طالب للسعادة الابدية ، وما كان له ذلك الموقف النفيس الباهر إلا لأنـه يريد أن لا يكون له تدخل في أمر الخلافة بتاتا ، لا لنفسه ولا لغيره ، لذا تراه لم يجعلها شورى ولم يستن بسنة عمر بن الخطاب في المقام ، وذلك إذ لا فرق بين أن يتقلدها بنفسه وبين أن يجعلها شورى بين جماعة يرتئيهم ، فإن المحذور هناك هو المحـذور هنا بعينه .

لكنه ، بعميق نظره وصيب فكرته ، قد أجاب مروان بجواب بديع الى الغاية

لا يستطيع الجواب بغيره في ذلك المقام الحرج ، أجابه بقوله : يا مروان تخدعني عن ديني ائتني برجال كرجال عمر اجعل الأمر بينهم شورى ، ومع هذا ففي هذا الجواب بلوغ منيته ، والسلامة من المحذور الذي فر منه ، وكأن معاوية بن يزيد يري مروان بن الحكم انه ليس في بني أمية ولا في غيرهم من هو في الدين والحجى والرأي والفضل والعلم والحنكة امثال علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وطلحة بن عبد الله ، والزبير بن العوام ، وسعد بن ابي وقاص ، وعبد الرحمن بن عوف ؛ هؤلاء هم الذين انتخبهم عمر بن الخطاب للشورى وجعلهم رجالها المعتمدين الذين تدور عليهم رحى الخلافة ولا تتعداهم الى من سواهم

ثم انظر الى قوله الآخر لمروان : والله لأن كانت الخلافة مغنما فلقد أصابنا منها حظ وإن كانت شرا فحسب آل أبي سفيان ما أصابوا منها ، فإنك ترى هذا الكلام يسن لك اسلوبا جميلا في البيان عند ارادة التملص من أمر من الامور

لعمري إن هذا الكلام ليكشف بجلاء عما عند معاوية بن يزيد من عقل صحيح وفكرة نيرة وورع صادق

والخلاصة إن صدور هذا الكلام وما قبله منه إنما كان للفرار من أن يكون له أدنى تدخل في شأن الخلافة

وإلى هذا الهدف أيضا يرمي كلامه الآخر عندما قيل له : اعهد الى من احببت فإنا له سامعون مطيعون » قال : لا اتزود مرارتها واترك لبني امية حلاوتها .

﴿ تذييل هام له فائدته في المقام ﴾

يعطينا النظر العلمي والميزان الفكري العدل ميزة خاصة لمعاوية بن يزيد على عمر ابن عبد العزيز وتفوقا ظاهرا عليه من حيث الدين والإيمان والسلوك الى الله تعالى

بالكلم الطيب والعمل الصالح

ان معاوية بن يزيد أجل قدراً وأسمى نبلا وأشد ورعا من ابن عبد العزيز وأدق منه نظراً في العواقب وفيما يكون به السعادة وحسن المآل

وهذا بالرغم مما لابن عبد العزيز من تلك الحسنة الكبيرة التي قام بها وهي رفعه السب عن امير المؤمنين (ع) بعد ما كان سنة متبعة وشريعة مألوفة في ديار الشامات وعند خصوص بني أمية أينما كانوا ، وجعل مكان السب قوله تعالى « ان الله يأمر بالعدل والإحسان » إلى آخر الآية ، حتى قال فيه الشريف الرضي

يابن عبد العزيز لو بكت العين ... فتى من بني أمية لبكيتك
غير اني اقول أنك قد طبت ... وان لم يطب ولم يزك بيتك
انت نزهتنا عن السب والشتم ... فلو امكن الجزاء جزيتك
دير سمعان لا عدتك العوادي ... خير ميت من آل مروان ميتك
وعجيب اني قليت بني مروان ... طراً وانني ما قليتك

فبالرغم من هذا كله فإن لمعاوية بن يزيد بن معاوية تلك الميزة وذلك التفوق على عمر بن عبد العزيز ، ميزة لا ينبغي الشك فيها ، وتفوق أجلى من الشمس الطالعة وذلك فإن معاوية بن يزيد خلع نفسه من الخلافة وجعلها محرمة عليه وسلك كل طريق من البيان لأن لا يكون له أدنى تدخل فيها كما تقدم الاشارة اليه ويعجبني ما نقله عنه الدميري في كتاب « حياة الحيوان » انه قال ، بعد ما جلس على المنبر ليخلع نفسه من الخلافة ، في بيان فضل علي (ع) وتعداد مناقبه ، قال في ذلك المجتمع الحاشد : ألا ان جدي معاوية قد نازع في هذا الأمر من كان أولى به منه ومن غيره لقرابته من رسول الله ﷺ وعظم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدرا وأشجعهم قلباً ، وا كثرهم علما ، وأولهم إيمانا ، وأشرفهم منزلة ، وأقدمهم صحبة ، ابن

عم رسول الله ﷺ وصهره ، وأخوه ، زوجه ابنته فاطمة وجعله لها بعلا باختياره لها وجعلها له زوجة باختيارها له ، ابو سبطيه سيدا شباب أهل الجنة ، وافضلا هذه الامة ، تربية الرسول (ﷺ) وابنا فاطمة البتول (ع) من الشجرة الطيبة الزكية ، إلى آخر كلامه ، وهذا البيان ابسط مما ذكرناه آنفا عن الخوارزمي إذا اثبتناه هنا وهذه المناقب والفضائل التي ادلى بها معاوية بن يزيد في الإمام علي (ع) لها ميزتها الخاصة فلا نؤهل للخلافة إلا من اختصت به اعني امير المؤمنين (ع)

ثم يعجبني أيضاً ما نقله الدميري في هذا الكتاب « حياة الحيوان » في بيان تعذيب بني أمية لمعلم معاوية بن يزيد بن معارية مما يكشف عن الوداد الصادق عند معاوية هذا للإمام علي (ع) قال : ان بني أمية قالوا لمؤدبه عمر المقصوص انت علمته هذا ولقنته اياه وصددته عن الخلافة وزينت له حب علي وأولاده (ع) وحملته على ماوسمنا به من الظلم وحسنت له البدع حتى نطق بما نطق وقال ما قال ، فقال : والله ما فعلته ولكنه مجبول ومطبوع على حب علي (ع) فلم يقبلوا منه ذلك وأخذوه ودفنوه أحياً حتى مات

وعلى كل فلقد تورع معاوية بن يزيد عن الخلافة وفر عن التدخل فيها بكل وجه عند ما علم انه ليس من اهلها ولا له اللياقة لإدارة شؤونها ؛ وهذا بخلاف عمر ابن عبد العزيز فقد تربع على عرشها باطمئنان واستلذ بحلاوتها بلا احتشام مع علمه بأنها ليست له ولا هو من أربابها الذين طالما كشف عنهم الرسول (ص) ونوه بأسمائهم في كثير من المواقف أمام جمهور المسلمين وعلى مسمع من المهاجرين والانصار

ان ابن عبد العزيز ليعلم بأن اربابها هم علي وابناؤه (ع) نعم ان هؤلاء هم اربابها الذين اعلن محكم القرآن بصدقهم وطهارتهم وأمر صراحة بالاعتصام بهم والسؤال منهم ؛ إنه لايخفى على ابن عبد العزيز شيء من هذا ، فلم إذاً لم يخلع نفسه من الخلافة ،

ولِمَ لم يشر الى اربابها الذين اختصهم الله تعالى بها وانتجبهم لها ، فإذاً لا بد وانه انما رفع السب عن الامام أمير المؤمنين (ع) لأمور خاصة نفسية ليس الا ، واليك الحديث المروي في مجمع البحرين عن عبد الله بن عطا التميمي قال : كنت مع علي ابن الحسين (ع) في المسجد فمر عمر بن عبد العزيز عليه شرا كان فضة وكان أمجن الناس يعني أصلبهم وأغلظهم وهو شاب فنظر اليه علي بن الحسين (ع) فقال : يا عبد الله بن عطا أترى هذا المترف إنه لن يموت حتى يلي الناس ، قلت : إنا لله ، هذا الفاسق ، قال (ع) نعم فلا يلبث فيهم إلا يسيرا حتى يموت فإذا مات لعنه أهل السماء واستغفر له أهل الأرض

إن بينهما ؛ بين معاوية بن يزيد بن معاوية وبين عمر بن عبد العزيز ، اختلافا في شيء واتفاقا في آخر ، لقد اختلفا في مبدئهما شخصيا ، فمعاوية المذكور قد حرم على نفسه الخلافة ورأى أن الإقدام عليها من اكبر الجرائم وان طلبها والتدخل بها جحود للكتاب وهدم للسنة ، ولكن عمر بن عبد العزيز لم يتحرج منها بوجه ، ولم ير في الإقدام عليها إثماً ، ولا في التعرض لها قبحا ؛ بل أقدم عليها بكل ما عنده من حب ورغبة ، واجتنى ثمراتها بولع وشغف شديدين ، أجل لقد ورد على منهلها وهو يراه عذبا زلالا وأحلى من العسل المصفى ، فما أبين إذاً ما بين الرجلين وما أجلى الفرق بينهما يا ذا البصيرة والشعور

واتفقا في مبدأ الاحساب ، فمعاوية بن أبي سفيان جد معاوية المشار اليه قد شرّع البِدَع ، وأتى بالمنكرات في الدين الإسلامي الحنيف ؛ وافترى على الله تعالى الأقاويل والأباطيل ، وبعثه دينه الجاهلي إلى قتال أخي الرسول (ص) ، وابن عمه أمير المؤمنين (ع) كما قد أحلت له آلهته المكر بالإمام الحسن المجتبى فرخ الرسول وابن بضعته الزهراء ، كما قد استحل إهراق دماء الصلحاء والأولياء ؛ أمثال عمر بن الحمق الخزاعي وحجر بن عدي وأصحابه إلى غير هؤلاء من العباد والأولياء بغضاً منه

للإمام المنتخب علي بن أبي طالب (ع) الذي من أبغضه فقد أبغض الرسول ، ومن سبه فقد سب الرسول ، ومن حاربه فقد حارب الرسول ، ومن اعترض عليه في قول أو فعل فقد اعترض على الرسول ، ومن لم يعترف بإمامته فقد جحد نبوة الرسول . وأما حال يزيد في الفسق والفجور والكفر والتهتك فذلك أشهر من نار على علم ، فلقد كان أول عمل قام به قتل الحسين (ع) ابن الزهراء البتول ؛ ورأى في دينه عدم الاثم في إراقة دماء أبنائه وإخوانه وشيعته الأحرار ، وأن لا قبح ولا عصيان في سبي حرمه الطاهر ، كما رأى عدم الحرج والضرر في هتك مدينة الرسول (ص) وإباحة أعراضها على نمط حرقه لبيت الله الحرام بلا تأثم أبداً

الى غير هذه من الأعمال السيئة والمنويات الخبيثة التي قام بها معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد ومثلا لها دوراً هاما كان به هتك أستار الشريعة المحمدية وتلويث ما جاءت به من مقدسات سامية

وعلى نهج هذين سار الوزغ ابن الوزغ مروان بن الحكم فارتكب ما ارتكب من الجرائم وابتدع في الدين ماشاء من منكر فلقد استحل قتال الإمام أمير المؤمنين (ع) يوم البصرة و كان في عداد من أخرج عائشة من بيتها الذي قد أمرها الله تعالى أن تقر به وتحتجب ، ولكن الدائرة قد دارت في هذا المشهد على أخصام علي (ع) و كان النصر حليف ابي السبطين ورائده في حله وترحاله ؛ وما انكشف وابيك غبار هذه الحرب الضروس « حرب البصرة » الا عن قتل ثلة من القوم وأسر آخرين بسيف الإمام امير المؤمنين (ع) وبفضل قداسته وطهارة ذاته ؛ وبكمال فروسيته وخبرته بفنون الحرب ، والتأييد الإلهي الذي ما زال يحوط هذا الإمام المطهر حيا وميتا

وأين كان مروان إذ ذاك
أجل كان في الأسرى مهاناً ذليلا

وما الذي أنجاه من قيد الأسر وذله

نعم لقد أنجاه عفو الإمام أمير المؤمنين (ع) عنه وإطلاقه له بشفاعة الحسنين (ع) له عند أبيهما المشهود له بقوة العاطفة وتلبية شفاعة مثل ولديه سبطي الرسول (ص) وريحانتيه

وهل حفظ مروان للحسنين (ع) هذه اليد البيضاء عليه ، أم هل شكرهما على هذا الصنع الجميل والنعمة التي كانت بها حياته

لا ، لا ، بل استحل مروان الطليق وابن الطريد رمي جنازة الإمام أبي محمد الحسن (ع) بالنبل مع جماعته الأمويين عندما حمل نعشه (ع) بنو هاشم ، وفيهم الحسين (ع) ، ليدفنوه عند جده ﷺ

فكان هذا العمل الفظيع من مروان أكبر جريمة موجبة لخلوده في جهنم ، وأعظم كفران لنعمة الحسنين (ع) عليه ، ثم إن هذا العمل قد أوجب ارتكاب جريمة أخرى وهي هتك حرمة الرسول ﷺ إذ كان ذلك العمل الفظيع من مروان في مدينة الرسول ومقابل ضريحه الأقدس .

فبمثل هذا كان جزاء مروان للإمام الحسن (ع) ، كما قد جازى الإمام الحسين بمثل ذلك فاستحل قتل الحسين بكل صورة ، وذلك يوم بعث يزيد إلى عامله بالمدينة يأمره بأخذ البيعة من الناس عامة ويؤكد عليه بأخذها من الحسين (ع) خاصة غير ممكن بتأخيرها ، ولقد كان موقف الحسين (ع) في المقام موقفا جليلا مثل (ع) فيه الإباء له والعز والرفعة ، فلم يجنح بكل وجه لبيعة مثل يزيد الفاسق ، قاتل النفس المحترمة ، والمخمر السكير ليلا ونهاراً ، والمستحل لكل قبيح حذر منه الشرع الأقدس .

لقد شاهد مروان امتناع الحسين (ع) عن البيعة حيث كان جليس تلك الخلوة عندما اجتمع الوليد بن عتبة بن أبي سفيان بالحسين (ع) وقد كان الوليد من قبل والياً على المدينة من قبل معاوية فأقره بزيد على ذلك ؛ ولما رأى مروان شدة إباء الحسين

عن البيعة أخذ يحرض الوليد على قتله (ع) وذلك حين قال للوليد : والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه احبس الرجل ولا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه .

ولكن الحسين (ع) آلى على نفسه أن لا يري الذلة لأحد في كل موقف مهما كان خطيراً جسيما ، وعاهد الانسانية أن يمثل الإباء والعزة أجل تمثيل وأسماه ولو كانت السيوف تأخذ من جسده الطاهر ، وما كان الحسين (ع) بالعي عن جواب مروان في مثل المقام ، كيف وهو ابن من سن الفصاحة والبلاغة وشرع صياغة النثر بإحكام وإتقان ، ما كان الحسين (ع) ليدع مروان يتكلم على رسله ويشفي غليله بما يهوى من حض وتحريض ، إن الحسين (ع) يعلم ما يكنه مروان بين جوانحه من البغض والعداء لبني هاشم ولأبناء علي (ع) خاصة ، إذاً فما كان منه (ع) إلا أن يرد كيد مروان في نحره ، ما كان منه (ع) إلا أن يلجمه بجواب يبقى وصمة خزي وعار عليه إلى الأبد ، لذا ترى الحسين (ع) قد وثب إلى مروان وثبة الأسد المفترس عندما سمع منه ذلك التهديد ، وثب إليه (ع) وقال له : أنت يا ابن الزرقاء تقتلني أم هو كذبت والله وأثمت ، ثم خرج (ع) محفوفاً بالنصر والتأييد ، خرج (ع) يمشي ومعه موالـيه وقد حملوا السلاح بأمر منه ، وترك وراءه مروان وقد أسقط في يده لا يهتدي طريقه وقد كاد أن ينفجر من عظيم ما في قلبه من حقد وغيظ على الحسين (ع)

وفي نقل آخر أن مروان قال للوليد وقد أحضره واستشاره في أمر الحسين (ع) قال له : إنه لا يقبل ولو كنت مكانك ضربت عنقه

يتشفى مروان بهذا الكلام وشبهه ، ويهوى الانتقام من الحسين (ع) بكل وجه ويرى أن في هذا التشفي والانتقام مجازاة للحسين عليه السلام على صنيعه معه يوم البصرة .

وفي نقل ثالث ان مروان جرد سيفه وقال للوليد ؛ والحسين عليه السلام جالس يسمع ويرى ، قال له : مر سياوك أن يضرب عنقه قبل أن يخرج من الدار ودمه في عنقي

ما أوسع ذمتك يا مروان ، نعم ان ذمة تتحمل دماء الأوصياء وأولاد الأنبياء ولا ترى في ذلك إثماً ولا حرجاً لواسعة جداً ، ما أضعف بصيرتك يا مروان وما أعماك عن طريق الحق والهدى ، أمثل الحسين (ع) ريحانة الرسول (ص) وسيد شباب أهل الجنة يهدد بالقتل ، أبمثل هذا التخويف والتهديد يوصل الرسول (ص) في قرباه ، لا ، لا يا مروان ، ليس بمثل هذا يجازى المحسنون ، إن الحسين (ع) قد اسدى اليك إحسانا كبيراً يوم البصرة ، أمن الإنصاف والمروءة ان تحث الوليد على قتل هذا المحسن الكبير إليك ، أمن الشرع والعدالة ان تجرد سيفك في وجه هذا المنعم عليك ؛ لا ؛ لا يا مروان ، ان الانصاف والمروءة والشرع والعدالة كل هذه توجب عليك ان تجثو على ركبتيك بين يدي الحسين (ع) تقديراً لإحسانه اليك واحتراما لابن بنت نبيك (ص) المفترض الطاعة عليك وعلى كافة البشر .

لقد طلب الوليد من الحسين (ع) البيعة ليزيد ، طلبها منه تنفيذاً لكتاب يزيد اليه بأخذها منه عليه السلام خاصة ، ان الوليد استدعى الحسين عليه السلام فأحضره وقرأ عليه كتاب العتل الزنيم يزيد ، واقتصر معه عليه السلام على قراءته ، ولم يكن الوليد ليبدي للحسين عليه السلام الغلظة في الكلام ولا ليقابله بسوء او بما به الخفض من كرامته ، لقد التزم معه عليه السلام نحواً من الآداب والتقدير ؛ وما اراه القسوة بقول او فعل

إن الوليد لا بد وان يكون اعقب قراءة ذلك الكتاب بمثل قوله : فما تقول ابا عبد الله او فما تأمر يا ابن رسول الله ، او فما رأيك الذي نكتب به الى يزيد

جوابا عن كتابه .

لا بد وان يجيبه الحسين (ع) على كتاب يزيد ، لابد وأن يعطيه رأياً سديداً في المقام ، لابد وأن يكشف (ع) للوليد عما فيه صلاح الأمة الإسلامية ، عما فيه انتظام حالها في العاجل والآجل .

أجل لقد عرض الوليد على الحسين (ع) أمراً عظيما يأباه الأحرار والأولياء الأطهار وإن كان في ذلك إراقة دمائهم .

إن مثل الحسين (ع) الذي يطفح محياه بالإباء ، ويفيض في سائر عروقه وأعصابه وفي كل جارحة من جوارحه لا يلبي دعوة الوليد قطعا ، لا يعطي الطاعة ليزيد ولا لبني أمية عامة .

إن كل قطرة من دمائه (ع) الزكية لتمثل الإباء وعزة النفس وشرف الذات فكيف إذاً يبايع (ع) ليزيد ، إنه وأيم الحق ليرفض البيعة بتاتاً ويرجع كتاب يزيد بالفشل والخيبة بلا ريب

إن الحسين (ع) حكيم ؛ فلا بد إذاً وأن يجيب الوليد عن كتاب يزيد بما يقنع به أولو الألباب ويسكن إليه ذوو الرأي والحجى ، ولا بد وان يجيبه بما فيه تمثيل الحقيقة ، بما فيه الرشد والخير لأمة محمد ﷺ بما يجب أن يتزين به الخليفة من قداسة وهدي وتقى .

اجل إن الحسين (ع) أجاب الوليد بقوله : أيها الأمير إنا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة وبنا فتح الله وبنا ختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق ومثلي لا يبايع مثله ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أينا أحق بالبيعة والخلافة

لقد تجلى الحق في هذا الجواب تجلي الشمس في رأد الضحى ، وأدلى الحسين (ع)

بالصواب أمام الوليد

لقد كشف عليه السلام بكلامه هذا عن أصول الفضيلة التي تقوم عليها الخلافة وأعلن للوليد عما تسنه الشرائع الإلهية وتفرضه الشريعة الإسلامية في مثل المقام من الأسس ، الجوهرية التي تشع عن محض الكمال النفساني والقداسة الذاتية في الخليفة

لقد اعلم عليه السلام الوليد بكلامه ذاك ان يزيد فاقد لهذه الأسس ،عار من تلك الأصول ، أعلمه بأن يزيداً ما مثل إلا الرذيلة بكل ما فيها من قبح ، ولا تجاهر إلا بالفسق بكل ما فيه من خبث ورجس

لقد أوضح الحسين للوليد عن النفر الذين قامت بهم أصول الفضيلة ، و كشف له عن الأشخاص الذين يتدفق العلم من جوانبهم وتفيض الحكمة من نواحيهم وينزل الوحي في بيوتهم ، كشف عليه السلام له عن هؤلاء الذين مثلوا قداسة الدين الحنيف وشرف نواميسه السامية

أجل لقد أوضح عليه السلام للوليد بأن هذا كله عند أهل البيت علي وأبنائه عليهم السلام،والحسين(ع)من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا

ان مثل هذا الكلام من الحسين عليه السلام مع الوليد يسمعه مروان ، وهل عندئذ يلزم الصمت أم يثير ما كمن بين ضلوعه من حقد وعداء لأبناء فاطمة (ع)

ثم ان مروان بالوقت نفسه يرى من الوليد عدم استعمال الشدة مع الحسين(ع)حسب ما أمره به يزيد ، بل ربما كان يرى منه معه نوعاً من التقدير واللين بالكلام

اذاً لا يستطيع مروان والحال هذا ان يلزم طريق الصمت ، لا يدعه شقاؤه أن يسمع ويرى فلا يتشفى ولا ينتقم من الحسين عليه السلام ، لا يدعه عداؤه لأهل البيت النبوي إلا أن يقابل الحسين بما لا يرضى من القول ، ان مروان قد ملىء خبثا ولؤما فلا يدعانه إلا ان يسمع الحسين عليه السلام الكلام الغليظ الفظ ، ان

مروان خبيث الطينة، سيء السريرة غير سليم العقيدة، من الشجرة الملعونة، مبغض قال لعترة الرسول ﷺ فلا يتمكن والحال هذا إلا ان يجابه الحسين (ع) بالتهديد والإرعاب

اجل لقد اخذت نار العداء للحسين عليه السلام تتقد في قلب مروان عندما سمع ورأى ما جرى بينه وبين الوليد، وشرع زند الغيظ يقدح متطايراً بشرره بين حشاياه، لقد بدا التلون على وجه مروان صريحا، اخذ يصفر ويحمر ويزرق، لقد اثاره ما يحمل من غل وحقد وبغضاء.

وما مضى على مروان بعد هذا التلون والانفعال لحظة او لحظات حتى اسرع في النهوض قائما فجرد سيفه في وجه الحسين عليه السلام وما اكتفى بهذه الجرأة ولا بهذا المظهر الفظيع حتى اخذ يحرض الوليد على قتل الحسين بقوله: مر سيافك أن يضرب عنقه قبل ان يخرج من الدار ودمه في عنقي

يقدم مروان على هذا القول ويبرز بذلك المظهر وهو غير محتشم ولا متأثم ولا هياب، يقول ذلك وهو بكمال التأثر والانفعال من الحسين (ع) وبأشد ما يكون من التغيظ عليه، لأن مروان يريد من الحسين أن يبايع ليزيد وينزل على حكم الأمويين وإرادتهم والا فالقتل لاسواه.

إن مروان يريد الإيقاع بالحسين عليه السلام ولكنه لا يجد سبباً ولا طريقا فلما رأى امتناعه عليه السلام عن البيعة وجد ذلك فرصة سانحة وسببا قويا للإيقاع به فظهر بما ظهر ونطق بما نطق

لقد كان لهذا التحريض من مروان صدى ازعج من كان خارج الدار وأعقب ضجة خرقت أسماعهم؛ و كان إذ ذاك على الباب تسعة عشر رجلا من أهل بيت الحسين (ع) بأتم التهيء والتأهب والاستعداد إن حدث على الحسين عليه السلام حدث داخل الدار، لقد جلس هؤلاء النفر على الباب وقد اصغوا بآذانهم الى ما يكون من الوليد

مع سيدهم الحسين عليه السلام جلسوا وهم على حذر ، وما كان بأسرع من ان سمعوا حركة مزعجة داخل الدار ، سمعوا تحريض مروان للوليد ، سمعوا صوت الحسين (ع) قد ارتفع بغضب وتهيج ، إن تهيج الحسين (ع) يمثل الشهامة العربية والإباء عن الدنايا ، ان فيه من جمال العاطفة ما يفتخر به كل عربي كريم

لقد هجم التسعة عشر رجلا إلى داخل الدار بأسرع من البرق ؛ هجموا وقد انتضوا خناجرهم غير مكترثين بسلطان الوليد ولا هيابين لولايته ، هجموا بحماس متفاقم ، وعلى حالة منكرة ، وبلا استئذان ، ليس لهم همة إلا أن يروا الحسين (ع) سالما ؛ إن هجومهم غفلة إلى داخل الدار وهم على ذلك الشكل من المنظر الغريب قد أرعب الوليد ومروان ، هجموا ولم يسلموا على الوليد بالإمرة غير معتنين به أصلا كأنه ليس من البشر أمامهم ، ثم خرجوا ومعهم الإمام الحسين (ع) يتجلى بينهم بنور الإمامة ، قد حفوا به كما تحف الكواكب بالقمر ليلة تجليه في قبة السماء ، وتركوا وراءهم مروان لم يلق إلا الخيبة والخذلان ، ولم يفلح بتحريضه ذاك المشوم ، ورد الله تعالى كيده في نحره ، بقي يعض على أصابعه ؛ يضرب يداً على يد ، في حسرة شديدة كيف فاته قتل الحسين (ع)

ما هكذا يكون جزاء المحسنين يا مروان ، أو ما علمت يا ابن الحكم أن للإمام الحسين عليك يداً سابغة يوم البصرة ، يوم صرت تحت سلطان أمير المؤمنين (ع) يوم أسرك الحق ببغيك وعدوانك ، يوم رأيت شخصك في قيد الذل والمهانة لا تملك لنفسك ضراً ولا نفعا ، وعندما كنت تؤمل الموت أكثر من الحياة

أجل لقد أسدى الحسين (ع) إليك يا مروان معروفاً كبيراً يوم لم تشعر إلا وأنت سجين في حبال ذاك الأسر بعد عقر الجمل وفي حين استئصال جماعاته والقضاء عليهم بسيف الدين والشريعة ، بسيف أخي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه وأبي

سبطيه علي (ع)

لقد نظر الحسين (ع) إليك يا مروان في ذلك اليوم بعد أن ظفر جيش الحق وانتصر ، فرآك في حيرة وارتباك قد أظلمت الدنيا في وجهك لا تدري إلى أي الأمرين يكون مصيرك ، إلى الموت وهو عندك أقرب أم إلى الحياة وهي عنك بظنك أبعد ، ثم دقق الحسين (ع) نظره في وضعك فرآك ترمق ببصرك اليه رموق الراجين للعفو والصفح ، رآك الحسين (ع) قد سلمت نفسك للموت ولكنه أحس منك تطلب الاستشفاع منه

انك تعلم يا مروان أن الإمام عليا عليه السلام لو شاء في ذلك اليوم لنفذ حكم الاعدام فيك ، لو شاء لجعل أشلاءك مطروحة بالعراء تحتوشها وحوش البر وتنقض عليها طيور السماء .

لكن سجايا الحسين (ع) الغر ، ومزاياه الوضاءة النبيلة ، ومكارم أخلاقه النبوية الفاضلة ، إن هذا كله في الحسين (ع) أبى إلا إغاثتك يا مروان ، إن الحسين (ع) مطبوع على تلبية من ندبه ، مفطور على التشفع لمن رجا شفاعته ، أبت له عليه السلام هذه المنقبة الغريزية إلا التشفع فيك يا مروان الى أمير المؤمنين عليه السلام فاستنشقت الحياة بعد اليأس ، ورحت ترفل آنسا مسروراً بعد ان كنت في خوف ورعب .

اذاً كان الواجب يقضي عليك يا ابن الحكم بشكر الحسين عليه السلام الذي قد أسدى اليك تلك الصنيعة الجسيمة ، يقضي عليك باحترامه والمثول بين يديه مثول الشاكرين لأيادي المحسنين .

نعم كان يقضي عليك بالمحافظة على كرامته وعدم ارعابه وإخافته ساعة استدعاه الوليد للبيعة ليزيد الخنا

فلينظر الناظر البصير الى جرائم بني أمية وسيئاتهم التي لا تقال وليدقق النظر في مروان بن الحكم وفي خصوص هذه الجريمة الكبيرة التي ارتكبها مع الحسين ان هذه الجريمة هي احدى جرائم مروان التي لا تغفر ، وعليها فقس ما سواها من جرائمه المبتدعة في الدين ، المضادة للقرآن والسنة

والخلاصة أن معاوية بن يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز كانا مختلفين في مبدئهما شخصيا ، فرأيُ معاوية بن يزيد على ان يخلع نفسه من الخلافة وانها ليست له ولا هو لها ، ورأي ابن عبد العزيز على العكس أن يبقيها في الخلافة وانها له وهو لها فهما مختلفان في هذا المبدأ ، ومتفقان في مبادىء احسابهما آباءً واجداداً كما عرفت بيانه على الاجمال

﴿ معاوية في حديثه مع محفن بن ابي محفن يعدد ﴾
﴿ فضائل علي ويعترف بظلمه له ﴾

تنبيك مدونات الكتب عما كان لمعاوية بن ابي سفيان من مواقف خاصة جهر فيها بما لعلي عليه السلام من الفضل وسمو الشأن وان الحق له

وما كان هذا الجهر منه على الملأ من الناس ولا بمسمع من جمهور اهل الشام وذلك فإن هذا يوجب الخلل في مركزه الاجتماعي وفيه ما فيه من المنافاة لإمرته ونفوذه ، أليس معاوية هو ذاك الذي ادخل في افكار اهل الشام ان علياعليه السلام لا يصوم ولا يصلي ، وانه عليه السلام ممن اعان على قتل عثمان وآوى قتلته ، ثم ناهيك تلك الجعالات الضخمة التي قد جعلها لمن روى الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذم علي عليه السلام وانتقاصه ، الى غير هذه من مبتدعاته في الدين وافتراءاته على الله ورسوله حتى كرّه عليا عليه السلام عند اهل الشام وصاروا يبغضون اسمه ويشمئزون من سماعه ، ثم افتراءه على الله ورسوله وتهجمه على الشرف والإنسانية بأن جعل سبه

عليه السلام والبراءة منه شرعة لازمة لأهل الشام ومنهجا لا يرون سواه حتى شاب على ذلك صغيرهم وهرم كبيرهم كما سيأتي ذلك ان شاء الله مفصلا في مبحث خاص من هذا الكتاب ، فهذا هو مبدأ معاوية الذي تزوده في دار الدنيا ولقي الله تعالى به وبهذا المبدأ أثبت إمرته ونفوذه ، ان هذا المبدأ يمثل التهتك في الدين ، والتعدي على قداسة الرسول ﷺ ويعلن بأن معاوية مسلوب الشرف والمروءة ، ان ذلك المبدأ هو الكفر والجحود بلا ريب ، قل لي بربك ، هل يجتمع هذا المبدأ الفاسد مع الجهر أمام أهل الشام بما لعلي (ع) من الفضل وأنه أحق منه بالأمر ، لا يجتمعان أبداً نعم انما يكون منه ذلك الجهر « اذا كان » أمام من لا يخشى منه خللا في معنويته ومركزيته ، ولا هدما في نفوذه وإمرته ، وربما كان منه هذا الجهر أمام من هو واياه على مشرب واحد من الانقياد للهوى .

واليك من هذا الباب حديث معاوية مع محفن بن أبي محفن ، ذلك الحديث الذي يعدد فيه معاوية ما لعلي (ع) من الفضائل الجليلة ويعترف فيه بأنه ظالم له (ع) بقتاله له وعدم الدخول في طاعته ، وذلك كما رواه في كتاب « كشف الغمة » عن الزبير « ابن بكار » في رجاله ، قال : دخل محفن بن أبي محفن الضبي على معاوية فقال : يا أمير المؤمنين جئتك من عند ألأم العرب ، وأبخل العرب ، وأعيا العرب ، وأجبن العرب ، قال : ومن هو يا أخا بني تميم ، قال : علي بن أبي طالب (ع) قال معاوية : اسمعوا يا أهل الشام ما يقول أخوكم العراقي ، فابتدروه أيهم ينزله عليه ويكرمه ، فلما تصدع الناس عنه قال له كيف قلت فأعاد عليه فقال له ويحك ياجاهل ، كيف يكون ألأم العرب وابوه ابو طالب وجده عبد المطلب وامرأته فاطمة بنت رسول الله ﷺ وانى يكون ابخل العرب فوالله لو كان له بيتان بيت تبن وبيت تبر لأنفذ تبره قبل تبنه ، وأنى يكون أجبن العرب فوالله ما التقت فئتان قط إلا كان فارسهم

غير مدافع ، وأنى يكون أعيى العرب فوالله ما سن البلاغة لقريش غيره ، ولما قامت أم محفن عنه الأم وأبخل وأجبن وأعيا لبضر أمه ، فوالله لولا ما تعلم لضربت الذي فيه عيناك ، فإياك عليك لعنة الله والعود إلى مثل هذا ؛ قال : والله انت أظلم مني فعلى أي شيء قاتلته وهذا محله ، قال : على خاتمي هذا حتى يجوز به أمري ، قال : فحسبك ذلك عوضاً من سخط الله وأليم عذابه ، قال : لا يابن محفن ولكني أعرف من الله ما جهلت حيث يقول : « ورحمتي وسعت كل شيء »

يشع أمامك هذه الفضائل الأربع ، فضيلة الشجاعة ، فضيلة الفصاحة والبلاغة ، فضيلة شرف البيتية والنسب ، هي من أصول الفضائل ، هي من أنفسها وأغلاها ؛ إن كل فضيلة من هذه الأربع يمثل كمالا نفسيا وجمالا ذاتيا ، كما يحتل كل منها مركزاً اجتماعيا هاما ومكانة دينية سامية .

أجل إن كل واحد منها وسام مجد وشرف ، وسام رفعة لا يبارى ، وسام سؤدد لا يضاهيه كوكب السماء المتلألىء

لقد ندر من اجتمعت فيه هذه الفضائل الأربع ، وأندر منه تمثيل من اجتمعت فيه لها على الوجه الأكمل .

أما الإمام أمير المؤمنين (ع) فقد تمثلت فيه جمعاء ، ومثلها كما يريد (ع) بأجمل تمثيل وأسماه ؛ لقد مثلها بروحه وجسمه بكل ما فيها من حسن وجمال وبكل ما تشير اليه من سر نفيس وحكمة بليغة .

إن للإمام علي (ع) مسلكا خاصا يبهر في مقام تمثيل الفضيلة ، في مقام الكشف عما لها من ثمرات حميدة ؛ عما لها من تقدير واعتبار ، نعم كان (ع) يمثل الفضيلة أولا تمثيلا عمليا ، ثم يلقيها ببديع بيانه منثورات تتلألأ ، يحسبها السامع ويراها البصير لآلىء حقيقة ، وهي التي يجب أن يقال لها لآلىء لا سواها .

لقد اعترف معاوية ،والحق أنطقه ، بأن عليا (ع) قد اجتمعت فيه هذه الفضائل الأربع ، كما قد اعترف بأن اجتماعها فيه (ع) كان على النحو الأكمل

أجل كان (ع) يتقدم بالعطاء قبل السؤال ويجود بما ملكت يده وهو في أشد الحاجة اليه ، وكم للإمام (ع) من مشاهد مذكورة قد مثل فيها الإيثار على نفسه أتم تمثيل ، وسخا عندها بأنفس الأموال لديه حبا للفضيلة ورغبة في مرضاة الله تبارك وتقدس ، واذكر من هذه المشاهد مشهديه الباهرين للذين قد رن صداهما في المشرقين تصدقه عليه السلام بالخاتم وهو راكع في الصلاة ، واطعامه المسكين واليتيم والاسير كان هذا وذاك بشكل ماسبقه (ع) اليه سابق ولا لحقه لاحق ولن يلحقه أبداً ، لقد استنار القرآن الكريم بذكر هذين المشهدين على الخصوص، كما قد استنار بذكر الكثير أمثال هذين من الفضائل التي كانت لعلي (ع) وحده مذ اختاره الله تعالى وصيا وخليفة

أما علي عليه السلام والشجاعة فذاك أمر مسلّم عند الخاصة والعامة ، وما أثبت التاريخ من قام بالحروب الهائلة وضحى بالغالي والنفيس مثل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ، ما بارزه عليه السلام فارس مدرب ولا بطل مجرب ولا قرم يوسل الموت من أطراف عينيه الا قتله وصرعه وتركه جثة هامدة ، يكفي ذكرى خالدة لعلي عليه السلام والشجاعة أن انتصارات الرسول (ص) لم تكن الا بسيفه عليه السلام انا نعلم ويعلم كل فرد خبير بأن سائر الفتوحات النبوية لم تكن الا بصموده عليه السلام في وجه العدو يناضل ويدافع عن الرسول (ص) في سبيل الدعوة المحمدية بأشد ما يقوم به مناضل ومدافع عن الدين والوطن والأهل والعشيرة

وناهيك بعلي عليه السلام من حيث الفصاحة والبلاغة كتاب نهج البلاغة ، هذا الكتاب الذي قد انتشر في أنحاء المعمورة ،والذي لا تخلو منه مكتبة ولا جامعة في الشرق والغرب ، والذي قد أصبح مستقى أهل الأقلام ومنهل أرباب البيان

والكلام ، ذاك الكتاب الذي هو دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق، فهو اليتيمة التي اذا نظرت الى أي جهة منها فلا ترى الا نوراً متلألئا ، هذا فوق ما له عليه السلام مما تفرد به من منثور الحكم والامثال التي قد استنارت بها صفحات الكتب واهتدت بسناها المتوهج نفوس البشر ، ان عليا عليه السلام هو ذلك المتكلم الفذ والخطيب المبدع ، الذي لو جمع ألسن الخلق جامع فصيرها طراً لسانا واحداً لكفاها لسان علي عليه السلام في الكلام ومتانة الصياغة والتركيب ، وفاقها نطقا وسادها ، فصاحة وبلاغة ، وسما عليها جرأة واقداما ،ولم تبلغ شأوه تصرفا وإيضاحا

أما علي (ع) من حيث شرف البيتية والنسب فناهيك به من هذه الناحية سلسلة آبائه الذهبية ، فآباؤه (ع) خير الآباء وفوق جميع الأنساب مجداً وعزاً وتمثيلا لمكارم الأخلاق ؛وأنى لأشرف انسان نسباً كأبي طالب وعبد المطلب وهاشم،أم أنى له أخ وابن عم كالرسول محمد (ص) ، وابنان كالحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة وسبطي هذه الأمة ، أم أنى لأجل شخصية زوجة طاهرة نقية كالزهراء البتول (ع) إن كل نسب ينحط ويخضع لنسب الإمام علي (ع)

لقد اعترف معاوية بهذا كله لأمير المؤمنين ونطق به صراحة لكن لا على رؤوس الملأ وأمام أهل الشام بل لمحفن بن أبي محفن فقط ، فكان معاوية قد حكم نفسه بنفسه في هذا المقام كما قد حكمها في كثير من أمثال هذا المقام

وإذا كان هذا اعترافك يا معاوية فلم اذاً نازعت عليا (ع) وقاتلته ، أهل كان ذلك منك اعتماداً على قوله تعالى« ورحمتي وسعت كل شيء » نعم ان رحمة الله تسع كل شيء وهي أكبر من كل شيء ، انها تسع من آمن بالله ورسوله واليوم الآخر وخضع لسلطان القرآن الكريم ولناموس النبي محمد ﷺ ؛ انها تسع التائبين الى الله تعالى من الذنوب والخطايا ، تسع أهل النزوح عن المعاصي والقبائح ، لا من كان مثلك

يابن أبي سفيان ؛ يابن آكلة الأكباد ، يابن من قد افسد الأنساب بادعائه زياد ، ولو ان رحمة الله تعالى وسعتك ياجاهل يا مغرور فلتسع إذاً فرعون ونمرود وقارون وهامان وابا لهب وأختك ام جميل ، واذا وسعتك فلتسع اذاً ابليس وقابيل وعاقر ناقة صالح ، ولتسع أيضا من كان قبلك من الجبابرة الذين عذبوا الأنبياء ، وقتلوا اوصياء الأنبياء وابناء الأنبياء ، فليس هؤلاء بشر منك يا معاوية ولا اكبر جريمة ولا أشد تمرداً على الله تعالى

انك تعلم يا معاوية خبث طويتك وسوء افعالك واعمالك ، تعلم بأنك قد انتهكت الحرمة وأمت السنة واحييت البدعة ، تعلم بأنك ظالم لعلي عليه السلام وغاصب حقه تعلم بأن سبيلك سبيل اولئك الجبابرة والنماردة الذين تجنبوا الحق واتبعوا الباطل جهاراً ، تعلم بأن رحمة الله تعالى لا تسعك ولا تشملك ابداً كما لم تسع فرعون ونمرود وما انت منهما يا معاوية ببعيد ، لقد آثرت يا معاوية هواك على اخراك ، وابتعت دينك بدنياك ، وجعلت عقلك اسيراً لهواك ، وليس مآل من كان على هذا النهج حاله إلا جهنم خالداً فيها ابداً ، وما استشهادك يا معاوية بالآية الكريمة أمام محفن بن ابي محفن إلا إحدى تمويهاتك وتدليساتك التي قد استهويت بها الناس ، ولن تضر الله بامعاوية بضلالتك شيئا « ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا » « ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى واضل سبيلا »

﴿ اعتراف معاوية ، لما اطلع في بئر الابواء واصابته ﴾

﴿ اللقوة في وجهه ، بأن الحق لعلي (ع) ﴾

روى في كتاب « شرح قصيدة ابي فراس » عن زينة المجالس في رواية احمد بن اعثم الكوفي ان معاوية لما حج حجته الأخيرة ارتحل من مكة فلما صار بالأبواء ونزلها قام في جوف الليل لقضاء حاجته فاطلع في بئر الابواء فلما اطلع فيها اقشعر

جلده وأصابته اللقوة في وجهه فأصبح وهو لما به فدخل الناس يعودونه فدعوا له وخرجوا من عنده وجعل معاوية يبكي لما قد نزل به فقال له مروان بن الحكم : أجزعت يا أمير المؤمنين فقال : لا يا مروان ولكني ذكرت ما كنت عنه عزوفا ، ثم اني بليت في أحسني وما يظهر للناس مني وأخاف أن يكون عقوبة عجلت لي لما كان من دفعي حق علي بن أبي طالب (ع) ؛ ولو لا هواي في يزيد لأبصرت رشدي وعرفت قصدي

وهذا هو أحد المقامات التي قد اعترف فيها معاوية بأن الحق للإمام أمير المؤمنين (ع) وترى جليا أن هذا الاعتراف منه لم يكن على مسامع الناس وإنما كان بينه وبين زميله مروان بن الحكم .

ان الناقد البصير ليعلم بأن ذلك العارض المشوه للخلقة الذي قد أصاب معاوية في أحسن محاسنه «في وجهه» إنما كان أحد النذر إليه ومن جملة العقوبات الملزمة له بإرجاع الحق لأهله ، ولكن معاوية لم يكن ليزداد بهذا وأمثاله إلا عتواً و كبراء ، كما لم يزدد الجبابرة السالفة بإنذار الأنبياء والاوصياء وإنزال العقوبات عليهم إلا طغياناً و كفرا

ان الخبير في نفسية معاوية والمطلع على سيرته إلى آخر نفس من حياته ليعلم بأنه هو ذلك الرجل الدنيوي المحض ، المتوغل بحب الدنيا بكل ما لها من معنى مذموم ، كان لا يرى للدين ولا للتمسك بعراه قيمة ، وإنما كان يمشي ابن أبي سفيان وراء أطماعه وشهواته ، وراء ميوله ورغباته ؛ وراء ما فيه إشادة ملكه وسلطانه ، انه كان رجلا مستعمرا بكل ما للاستعمار من معنى يأباه الأحرار وينفر منه ذووا الشهامة العربية إنه كان ذلك الرجل الاموي الذي قد مثل العداء السالف بين أمية وهاشم .

كان معاوية يرى عدم المعنوية والاعتبار له إذا انضم إلى لواء الإمام علي (ع) يرى انه لامحالة يتبدل وضعه الاجتماعي إذا خضع وانقاد لأخي الرسول ﷺ وأبي سبطيه فيصير تبعا وحاشية بعد ان كان أميراً مطاعا ، ويصبح لا رأي له ولا مشورة

بعد أن كان هو ذا الرأي الحصيف المتبع ، إن معاوية لا يرضى بأن يكون مأمورا وغير منفذ الإرادة إذا سلم الأمر لعلي (ع) وقد كان يرى نفسه من قبل انه هو صاحب الأمر والنفوذ فيما يرتئيه ويحكم به ، ان معاوية اطاع نفسه الأمارة ، اطاع هواه المسيطر على سائر حواسه ومشاعره ، اطاع شيطانه الخداع الذي أهلك من كان قبله من طواغيت الجور ، أطاع شغفه بابنه يزيد الذي قد مثل الفسق والفجور وجعل الدين لعبة له ومهزأة ، كان معاوية لا يرى لقداسة الدين أثراً ؛ ولا لتعظيم شعائر الله تعالى ملزما ، ولا للأخذ بفروض القرآن وسنن الرسول (ص) موجبا .

لقد بذل معاوية جهوده وسعى بكل ما عنده من حول وطول لتشويه ذكر علي (ع) ولكن معاوية لم ينجح وانعكس الأمر عليه وكأنه قد دعا لذم نفسه فلم يترك وراءه إلا الذكر المنكر عند كل من قرأ تاريخ حياته ، ولم ير أمامه الا سوء ما كسبت يداه

أما الإمام أمير المؤمنين (ع) فلم يزدد على ممر الليالي والأيام إلا علواً ورفعة وعظمة وجلالة ، ولا ترك (ع) وراءه إلا الذكر الطيب الجميل ، ولا خلد في النفوس إلا الاكبار والإعجاب ، ولم تزد الأمم والأجيال إلا حباً له (ع) ووداداً ولا المجتمعات المؤسسة في الشرق والغرب الا استنارة بعلومه ومعارفه .

تفكر ياحبيبي ، وتأمل يا ذا الشعور الحي في علوم علي (ع) ومعارفه ، في آرائه القيمة وافكاره السديدة ، في فصاحته وبلاغته ، في مكارم أخلاقه ، في خدماته الجليلة في الإسلام ، في مواساته بنفسه للرسول صلى الله عليه وآله وسلم في جميع المواطن في قداسته وزهادته ، في تهجداته وابتهالاته ، في مواقفه المروعة اذا اسود الظلام بين يدي ربه تبارك وتقدس ، الى غير هذه مما كان له (ع) من سجايا الكمال وجميل الفعال ، فهذه لعمر ابيك هي الفضائل والمناقب التي قد منحت الكون حلة الابتهاج والارتياح وكست

الوجود ثوب الغضارة والنضارة .

لقد تم هذا كله للامام علي (ع) بالرغم من الضغطين ، الاموي والعباسي ، على حرية الافكار في نشر ما لعلي (ع) من الفضائل التي نوه بها القرآن الكريم وقام بإبلاغها الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم

﴿ في النجف هيبة الإله ، وجنة النعيم ، ومدرسة العلم والعرفان ﴾

﴿ وسر الوجود ، والمزار الأعظم لعشرات الملايين من البشر ﴾

ثم انظر وتفكر فأين علي (ع) اليوم وأين معاوية ؛ وهل يستوي المرقدان ، مرقد ابن آكلة الأكباد معاوية ، ومرقد الإمام الطهر أخي الرسول (ص) وأبي سبطيه علي (ع) ، لا وربك لا يستويان منظراً ، ولا مخبراً ؛ ولا بنية ، فعلى مرقد علي عليه السلام يتجلى البهاء والسكينة والوقار ، وعلى مرقد معاوية الذلة والمهانة ، وذاك مرقد علي عليه السلام يتلألأ نوراً ويهتدي الساري بسناه اللامع في الليل الحالك ، وترى مرقد معاوية قد أصبح أظلم مدلهم ، مقفراً موحشاً ، لا قيمة له ولا حرمة حتى عند شيعته وأتباعه ، ولا يتمثل أمامك اذا نظرت اليه الا المخازي والمعائب

أما مرقد علي عليه السلام فإنما يتمثل أمام عينيك ، إذا نظرت اليه ، أنوارا تتوهج وأشعة تتقد من الارض الى عنان السماء ، وإنما ترى رحمة المبدع المصور وهيبة منشىء الكون تتجليان فوق قبته الساطعة ، في البقعة المباركة ، في ظهر النجف الأشرف ، محط جثمان أمير المؤمنين عليه السلام ومحل مدفنه المبارك الميمون .

ذاك مرقد علي بن أبي طالب عليه السلام الذي قد أصبح قبلة الوفود وكعبة الزائرين للملوك والأمراء والأشراف وللأولياء والصلحاء والعلماء ، كيف وهو المرقد الذي توءمه الملائكة قبل أن توءمه البشر ، خاشعة خاضعة أمام هيبته وعظمته والمرقد الذي قد جللته الهيبة الإلهية ، واكتنفته العناية الربانية ، وسورته

نظرات الملك الجبار في الليل والنهار

لقد أصبح هـذا المرقد المهيب تؤمه الملايين من البشر من أقاصي المعمورة ومن مختلف البلدان والممالك وتفد اليه بدافع الحب والولاء وتقف ماثلة أمامـه بخشوع وسكينة ، راجية وساطته الى الله سبحانه في قضاء الحوائج ؛ ورفـع الكرب ، والسلامة من أهوال يوم المعاد ، والفوز بجنان النعيم ؛ فإن رحمة الإله تعالى فيه تتجلى كما ان في تربته الزكية تسرح أرواح المؤمنين ؛ إذ أن الله تبارك وتقدس جعل فيها جنة الدنيا لعباده الصالحين

ولقد أجاد عبد الباقي العمري حيث قال في وصف قبة أمير المؤمنين عليه السلام الذهبية المتلألئة بلمعانها في فضاء النجف

قبة المرتضى علي تعالى شأنها عن موازن وعديل
من نضار صيغت بغير نظير في مثال منزه عن مثيل
فوقها كالا كليل لاح هلال رمقته السها بطرف كليل
جللت مرقداً جليلا تجلت فوقه هيبة المليك الجليل
فعلى قبة السماء إذا ما فضلوهـا أقول بالتفضيل
هي باء مقلوبة فوق تلك النقطـة المستحيلة التأويـل
هي كهف النجاة طور المناجاة مثال العفاه مأوى الدخيل
هي حق للجوهر الخاص ما للعرض العام عندهـا من مقيل
هي ظل إما ضل من قال يوما بحماها من تحت ظل ظليل
هي غمد لذي فقار بطين من سيوف الله العلي صقيل
هي غاب ثوى به أسد الله علي بصدر أشرف غيل
ذاك ليث أردى العدى بزئير وحسام أبادهم بصليل

كرة مستديرة فوق قطب دبر الكائنات بالتعديل
هي في الليل مثلها في نهار وبوقت الضحى كوقت الأصيل
قابلتها البدور باللثم ليلا وشموس النهار بالتقبيل

وقال آخر في شرف مرقد الامام أمير المؤمنين عليه السلام وما يقتضي أن يكون عليه الزائر من الآداب

هذا أفق المبين قد لاح لديك فاسجد متذللا وعفر خديك
ذا طور سنين فاغضض الطرف به هذا حرم العزة فاخلع نعليك(١)

وانشدني السيد الحسيب النسيب السيد محمد علي احمد من جناثا للشيخ شحاذي الغساني العاملي ابياتا قيمة فيما ينبغي أن يقوم به زوار الروضة الحيدرية من مراسيم العبادة قال

صل لربك وانحر باب قبلته مواليا لأبي السبطين حجته
واركع وكبر كثيراً تحت قبته واسجد وسبح وبالغ في محبته
وطف ولب وحي الركن واستلم
حتى تفوز بيوم الحشر مبتهجا فلا تخاف به بخسا ولا حرجا
وليس تلقى بغير المرتضى فرجا وليس تستاف الا بالولا ارجا
اذ فيه اصبحت موجوداً من العدم
لولا علي وشبلاه وجدهما لم يخلق الله ارضا للورى وسما
ولا تنفس وجه الصبح وابتسما ولا تصعد ماء المزن وانسجما
ولا غدا اللوح منسوبا الى العلم

---

(١) والمعروف ان هذين البيتين للشيخ البهائي وهما مكتوبان على حائط الكيشوان الجنوبي الشرقي عندما تدخل منه الى الروضة الحيدرية

وقال عبد الباقي العمري في وصف زوار مرقد الإمام علي (ع)

وكأنما زوار حضرة حيدر بين الشموع ونورها يتهالل
زُمَرُ الملائك وهو مظهر روحها بين الكواكب بالسما تتخلل

وقال ايضا في هذا

صندوق قبر المرتضى زواره بين الشموع لهم عليه تهافت
فكأنه بدر به قد احدقت سيارة من انجم وثوابت

وقال ايضا في وصف قبته (ع)

وليلة حاولنا زيارة حيدر وبدر دجاها مختف تحت استار
بإدلاجنا ضل الطريق دليلنا ومن ضل يستهديه بشعلة انوار
فلما تجلت قبة المرتضى لنا وجدنا الهدى منها على النور لا النار

وقال عبد الباقي ايضا يصف الفلك التي تقل زوار الامام امير المؤمنين عليه السلام، ويذكر فضل مرقده البهي الباهر، وطواف ملائكة السماء بضريحه الاقدس واليك الاصل له مع التخميس للسيد عبد الغفار الموصلي.

سرينا لنمحو الإثم او نغنم الاجرا لزورة من تمحو زيارته الوزرا
وسارت وقد أرخى علينا الدجى سترا بنا من بنات الماء للكوفة الغرا
سبوح سرت ليلا فسبحان من أسرى

تخيرتها دون السفائن مركبا وأعددتها للسير شرقا ومغربا
فكانت كمثل الطير إن رمت مطلبا تمد جناحا، من قوادمه الصبا
تروم بأكناف الغري لها وكرا

ترامت بنا فلك فيا نعم مرتمى إلى درة الفخر التي لن تقوما

فخضنا اليـه البحر والبحر قد طما وكم غمرة خضنا اليـه وإنمـا
يخوض عباب البحر من يطلب الدرا

إلى مرقد يعلو السماكين مـنزلا وقد نال مانال الضراح من العـلى
نسير ولا نلوي عن السير معدلا نؤم ضريحا ما الضراح وإن علا
بأرفع منـه ؛ لا وساكنه ، قـدرا

فزوج ابنة المختار كان غضنفرا علاً وارتضته الطهر من سائر الورى
أتعرف من هذا الذي طال مفخرا حوى المرتضى سيف القضا اسد الثرى
علي الذرى بل زوج فـاطمة الزهرا

فطف في مقام حل فيه ولبه ترى العالم الأعلى حفيفا بتربه
فكالمسجد الأقصى وأيـه تشبه تطوف من الاملاك طائفة به
فتسجد في محراب جامعه شكرا

فأثنى عليه من علا مثل من دنا وكل بما أثنى اجاد وأحسنا
فحزب من الدانين إذ ذاك أعلنا وحزب من العالـين بهتف بالثنـا
عليه بوحي كدت اسمعه جهرا

حججنا إلى بيت علا بجنابه عشية آوينا إلى باب غابه
ومن قد سمت اركان كعبتنا به جدير بأن يأوي الحجيج لبابـه
ويلمس من اركان كعبته الجدرا

فيوض علوم الله من قدمٍ حوى فقسّم منها ما افاد وما احتوى
ومن قبل مايثوي ومن بعد ما ثوى حري بتقسيم الفيوض ، وماسوى
أبي الحسنين الأحسنين بها جرى

ظللنا وكم جان لديه ومذنب وذي حاجة منا وصاحب مطلب

نقبل ، والاجفان تهمي بصيب ثرى منه في الدنيا الثراء لمترب

وللمذنب الجاني الشفاعة في الاخرى

خدمنا أمير المؤمنين بموطن نعفر فيه الوجه قصد تيمن

ويخدم قبر المرتضى كل مؤمن بأهداب اجفان واحداق اعين

وحر وجوه عفرتها يد الغبرا

تهش النفوس إلى النجف ، وتهوي إليها أفئدة المؤمنين ، وتطمئن بها عقول ذوي الحجى .

وما النجف بمن حل في تربها إلا جنان زينها خالقها ومنشئها بكل ما يرغب به المرء من لذة وسرور ، لقد زينها الله تبارك وتقدس بكل ما تقر به العين وتتوق اليه النفس من خير محض وجمال ليس بالحسبان ، وأبدع الله سبحانه في تربة الغري صنعه المحكم وخلقه المتقن ، وأودع في ربواتها سراً من أسرار عظمته الجبارة .

ويا ليت عينك ترى أرواح المؤمنين وهم حلق حلق ، يتحدثون في وادي السلام على منابر من نور ، يا ليتك تراهم وهم يطيرون بأجنحة الولاء الحيدري في النجف الأشرف في تلك البقعة الزكية التي قد أفرغ الله تعالى عليها مهابة عظمته بثواء علي (ع) فيها

النجف وما أدراك ما النجف ؛ بلدة العلم والعلماء ، مثوى الصالحين والأولياء ، مرقد علة الكائنات ، أنت يا نجف تلك البقعة الزاهية النقية ، والتربة الشامخة العلية ، ما أسمى شرفك يا نجف ، ما أجل مزارك وأبهاه ؛ يستنير العالم الانساني بفيض علوم ساكنك يا نجف ، سعد الوافدون إليك يا نجف وفازوا والله فوزاً عظيما

إن النجف هي المدينة التي قد أصبحت تشد اليها الرحال من سائر البلدان والاقطار لاقتباس العلوم على اختلاف أنواعها وخصوصا العلوم الدينية فإن النجف

قد اكتسبت الميزة بتدريس الفقه والاصول فيها بشكل بلغ الغاية من حيث الدقة والتحليل والتوسعة والتمحيص فلا يوجد له مثيل في سائر المدن الإسلامية بلا استثناء

لقد تعطرت بقعتها وزكت وطابت مذ وضع فوقها نعش الإمام (ع) ومذ نزل فيها جسده الاطهر .

أجل لقد زكت بقعة النجف من قبل منذ الأزل حيث سبق في العلم المكنون أنها ستكون مدفنا مبارکا لهذا الإمام المعصوم (ع)

وإن للامام علي في هذه المدينة ، مدينة النجف، نفحات روحانية تهب بكرة وعشيا من داخل ضريحه الأقدس فتعم سكانها وأهليها وتتخلل في نفوس علمائها الأبرار ، تعم الجميع بالنصر والتأييد والخير والبركة ، كما كان (ع) يرسل للمسلمين أمثال هذه النفحات حينما كان عضيد الرسول ﷺ ونصيره في مكة والمدينة ، وعندما كان حامل لوائه في حروبه وغزواته ، ومندوبه الخاص في جميع المهمات .

فلتهنأ النجف مذ شق لحدك فيها يا أمير المؤمنين ، وحينما جاءها بجثمانك الزكي ولداك الحسنان يحملان نعشك الزاهي ؛ وقد تقدمهما بحمله ملائكة السماء

ولتهنأ مدى الأبد مجاوروك وزائروك فلقد فازوا بالسعادة حين يجلون أبصارهم بالنظر إلى قبتك النيرة ، وعند ما يتبركون بلثم أعتاب حضرتك المقدسة إجلالا وإعظاما لشأنك ، وتقربا الى الله سبحانه بهذا المنهج الخاص من العبادة

ان هؤلاء وأيم الحق لمغبوطون حين يدخلون إلى الروضة الحيدرية « روضة حامي الحمى » ويؤدون فيها مراسيم العبادة لله سبحانه ، فيقيمون الصلاة عن يمين ضريحه الأقدس وعن يساره ووراءه ، ويتلون تحت قبته وفي داخل حضرته سور القرآن المجيد ، ويبتهلون عندها إلى الله سبحانه بالادعية والأوراد .

يؤدون في حضرتك هذه المراسيم الإلهية وأنت مشرف عليهم فرداً فرداً ، تنظر

اليهم من أعالي الجنان ، ثم انك تسأل الله تعالى قبول أعمالهم وتضاعف حسناتهم ولن يخيب الله سبحانه لك أملا ولن يرد لك دعوة

أجل انك تراهم يا سر الوجود بعينيك عيانا وتسأل الله تعالى لهم ذلك بلا ريب

نعم إن أمير المؤمنين (ع) لينظر إلى زواره وهم يطوفون حول ضريحه الاقدس خاشعين مستكينين كما يطوفون كذلك بالكعبة البيت الحرام

ويرى ، وهو في الفردوس ، تضرعاتهم وابتهالاتهم ومناجاتهم ويسمع أصواتهم الرقيقة ، كما يشاهد هذا الخلق أجمع من أعالي الجنان

يرى (ع) زواره ماثلين في حضرته ؛ وشعارهم ، يا الله ، يا محمد ، يا علي

كما كان (ع) يرى المسلمين ويراعاهم في الغزوات وغيرها، حينما كانوا لا يعتمدون في الحروب إلا عليه ولا يرون لهم مرجعا يصدرون عن رأيه ويأخذون عنه الحكم والفتوى إلا شخص الإمام أبي الحسن (ع)

أجل فلقد كان (ع) يلبي دعوة المسلمين بأسرع من البرق حينما كانوا لا يعرفون لهم شعاراً إلا الهتاف باسمه المبارك الميمون ، يهتفون قائلين : يا أبا الحسن أنت المفزع والمرجع والغياث ، يا أبا الحسن أنت أعلمنا وأقضانا وأبصرنا بالأمور ، يا أبا الحسن أنت حلال المشاكل ، أنت رافع البهم ؛ أنت مبين الحق وقامع الباطل ، أنت مع الحق والحق معك ، أنت يا أمير المؤمنين ذاك الوصي المخبر عما كان وعما يكون ، أنت خليفة الرسول ؛ أنت الذي تحيي الموتى بإذن الله تعالى

ولا غرو بأن يهتف المسلمون باسم الإمام علي (ع) في كل مشهد مروع وعند نزول الحوادث والكوارث فلقد هتفت الملائكة باسمه يوم بدر وحنين ، كما قد هتف جبرائيل باسمه العلي بين السماء والأرض حين قال : لا فتى إلا علي ، لا سيف إلا ذو الفقار

فإن عليا (ع) أهل لأن يهتف أولاء وأولئك باسمه، اذ قد علم المسلمون كما من قبل علم الوحي وملائكة السماء بأن امير المؤمنين (ع) مجمع الفضائل

ذلك مما خصك الله تعالى به يا امير المؤمنين جزاء لخدماتك الجليلة في الإسلام ومكافأة لك على كمال مواساتك بنفسك للرسول ﷺ في المواطن كلها

ومن هوان الدنيا على الله تعالى، وعلى الفضيلة، وعلى الشرف والمروءة أن نقرن يا امير المؤمنين بمعاوية وان ينازعك ويخرج عليك ابن أبي سفيان، او ان يقاس بك زيد وعمرو، أو يتقدم عليك من قد فضلك الله ورسوله عليه من لدن كنت نوراً متلألئا في ساق العرش الى ان برزت بهيكلك الأقدس في مكة والمدينة وزيراً وعميداً لخاتم الرسل محمد ﷺ

﴿ سعد يحدث معاوية بفضل علي (ع) ويقول له : اما ما ذكرت ﴾

﴿ ثلاثا قالهن له رسول الله فان اسبه ﴾

واليك هذا الحديث الجليل الذي قد اثبته في كتاب « كشف الغمة » نقلا من كتاب « كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب » تأليف الشيخ الإمام الحافظ ابي عبد الله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي قال : أمر معاوية بن ابي سفيان سعداً بسب علي بن ابي طالب (ع) فامتنع فقال : ما منعك أن تسب ابا تراب قال: اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول ﷺ فان أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه «غزوة تبوك» فقال علي (ع) : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان فقال له رسول الله ﷺ : اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي، وسمعته يقول له يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال « سعد » فتطاولنا لها فقال (ص) : ادعوا لي عليا (ع) فأتي به

ارمد فبصق (ص) في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه ، ولما نزلت هذه الآية « ندع أبنائنا وابنائكم » دعا رسول الله (ص) عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء اهلي ، ثم قال في كتاب « كشف الغمة » بعد نقله لهذا الحديث : هكذا رواه مسلم في صحيحه وغيره من الحفاظ قال محمد بن يوسف الكنجي : نعوذ من الحور بعد الكور « النقصان بعد الزيادة » انتهى

فبالرغم من عداء سعد لعلي (ع) فقد نطق بما به الفضل الباهر والخطر الجسيم للإمام امير المؤمنين ، لقد انطقه الحق بهذا ومنعه من الوقيعة فيه (ع) لما امره معاوية بذلك

ايضاً وبالرغم من عداء معاوية للإمام علي (ع) ومن سلطانه النافذ فقد اخضعه الحق ودفعه بغير اختياره للاصغاء بسمعه وسائر حواسه لهذه الفضائل الثلاث الخطيرة في الإمام (ع) لقد نشرها سعد لآلىء تتقد في مجلس معاوية ولم يكن عند معاوية انكار لشيء منها

اجل ان الاسلاك الكهربائية المتولدة من هذه الفضائل الثلاث قد اضعفت قوة معاوية وسلطانه ، وأخمدت نصبه وعداءه فلم يستطع بعد لرد شيء منها او للاعتراض عليها ، فما كان معاوية عند ادلاء سعد بها إلا مطأطىء الرأس غاض الطرف قد غشيه من نورها وعظمتها ما ابهره وارعبه وألجمه .

وان سعداً هو صاحب السؤال المشهور للإمام علي (ع) عندما قال على منبر الكوفة : سلوني قبل ان تفقدوني فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون الا نبأتكم به ، وكان سؤال سعد ان قام من بين ذلك الجمع الحاشد فقال : يا امير المؤمنين اخبرني كم في رأسي ولحيتي من شعرة ، وانما كان سؤاله هذا سؤال تعنت واستكبار بدافع العداء الصريح ، لذا اجابه الامام امير المؤمنين (ع) بقوله :

اما والله لقد سألتني عن مسأله حدثني خليلي رسول الله (ﷺ) انك ستسألني عنها وما في رأسك ولحيتك من شعرة الا وفي اصلها شيطان جالس

وإنما لذاك السؤال هذا الجواب فإن الملاءمة لا بد منها بين السؤال والجواب ، وهي في المقام في أعلى مراتبها ، ولا يتصور جواب ملائم لسؤال سعد غير هذا الجواب البارز من الإمام (ع) ، الذي قد القم سعداً حجراً وتركه حائراً كأنما على رأسه الطير ، وخصوصاً عندما ختم الإمام (ع) هذا الجواب بقوله : وإن في بيتك لسخلا يقتل الحسين ابني ، وعمر بن سعد يومئذ يدرج بين يديه » وفي هذا الختام ما فيه من الآية والكرامة للإمام أمير المؤمنين (ع) ، وإنما أتى (ع) به بمثابة دليل وبرهان لجوابه المذكور عن سؤال سعد ؛ وهو من جملة إخباراته عما يكون في مستقبل الزمان من الوقائع والأحداث ؛ وهذا الطراز من الأخبار لا يكون إلا للأوصياء الذين ورثوا علوم الأنبياء ، أو لشيعتهم المخلصين الذين محضوا الإيمان وتفانوا في عبادة الرحمن تبارك وتقدس ، ولقد صدق (ع) بقوله : فوالله لا تسألوني عن شيء مضى ولا عن شيء يكون إلا نبأتكم به » ولو أن سائلا قد سأله في ذلك الحين ، عندما أنشأ (ع) هذا المقال بين ذلك المجتمع الرهيب الحافل ، عن حال عمر بن سعد لكان جوابه (ع) بأن عمر بن سعد ممن يؤلب علينا أهل البيت وانه الذي يتولى قتل ابني الحسين سبط الرسول وريحانته ، كما أنه لو أن سائلا كان قد سأله (ع) في ذلك الحين عن حال سعد من حيث الإيمان والولاء أو أن سعداً نفسه كان قد سأله (ع) عن نفسه من هذه الناحية لكان جوابه (ع) بأن سعداً يُظهر الولاء ويُبطن العداء ، والبرهان الجلي على ذلك ما أباح به سعد من السؤال المذكور ، وهل يكون مثل هذا السؤال إلا من المعاند الألد الذي قد تكون في باطنه من العداء المحض للإمام علي (ع) ، وعلى كل فبينما سعد على هذا المبدأ وبتلك الصراحة من السؤال وإذا به يقف ذلك

الموقف الرهيب أمام معاوية فيتلو طرفاً خطيراً من فضائل الإمام أمير المؤمنين (ع)، لقد تجلى الحق في هذا الموقف وأضاء عن سمو عظمة الإمام (ع) في مجلس لم يتمثل فيه سوي التآمر على الفتك بالإسلام والمسلمين ، ولم يشد إلا على مقاومة الدين ومحاربة الشريعة والقضاء على الأوليا والصلحاء ؛ ذلك مجلس معاوية بن أبي سفيان .

وأيم الحق إن بزوغ هاتيك الفضائل من مثل سعد في ذلك المجلس لمن الآيات البينات الدالة بجلاء على ما للإمام علي (ع) من علو المكانة عند الله تعالى ومزيد القرب منه تبارك وتقدس

أجل إن لله سبحانه نفحات تهب من الملكوت الأعلى يؤيد بها وليه أمير المؤمنين (ع) في كل عصر وزمن

إن له تبارك وتقدس عناية خاصة بهذا الإمام الطهر (ع) تدفع أعداءه بغير اختيار منهم للنطق بفضائله والإعلام عنها بلا تحريف ولا تبديل ، كما أنها تخضع الناصب الألد مثل معاوية لأن يكون كله إقبالا عليها بسائر حواسه

إن سعداً صحابي له مكانته بين الصحابة ، ومن رجال الشورى الذين يقوم عليهم أمر الخلافة وليس من له الأهلية لها سواهم بنظر عمر بن الخطاب ؛ فكان في سعد ناحيتان هامتان ترفعان منزلته في المجتمع الإسلامي وتؤهلانه لأن يكون عند المسلمين مسموع الحديث إذا حدث بحديث عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومقبول الكلام اذا تكلم في حق زيد وعمرو مدحاً أو ذماً ، وخصوصاً الناحية الثانية فإنها تنبيء بوضوح عن ثقة عمر بن الخطاب به واعتماده عليه حين صيره في عداد رجال الشورى فكان لهذه الناحية أثرها الهام فقد جعلت سعداً مقدراً محترماً في النفوس إلى الغاية ولعلنا نقول : إن قيمة هذه الناحية أهم مما للناحية الأولى من القيمة من حيث التقدير والاعتبار والوثاقة

إن معاوية يعلم حال سعد من هاتين الناحيتين ، ويعتقد أن سعداً إذا حدث بحديث أو فاه بكلام سواء رجع إلى أمور الدين أو الدنيا كان حديثه مسموعاً في المجتمع لارد عليه ولا انكار ، كما يكون كلامه متلقى بالقبول والاعتبار عند المسلمين ، فكان سعد إذاً معدوداً من أولئك الرجال الذين ما زال معاوية يعتمد عليهم في تشويه اسم علي (ع ويرتكز على دعايتهم بوصم هذا الإمام بما يشينه ويذهب بكرامته ومعنويته ، ولم يكن معاوية ليترك سعداً وأمثاله لاختلاف ما يوجب بُعد المسلمين عن علي (ع) ويبعثهم الى هجره وعدم الاكتراث بشأنه ، لذا ترى معاوية قد ندب سعداً في المقام للحط من كرامة أمير المؤمنين (ع) والتهجم على قداسته بما هو بريء منه

وهل أن سعداً امتثل أمر معاوية فيما ندبه اليه

لا ، لا ما كان الله تعالى ليشفي غليل ابن آكلة الأكباد وما كان الله سبحانه لينزل سعداً على إرادة معاوية في هذا المقام ، وترى النتيجة قد جاءت بعكس ما كان يرغب فيه معاوية ويتطلبه

أجل لقد قلب الله تبارك وتقدس لسان سعد ومال به من السب الى المدح ومن الذم الى الثناء على الإمام علي (ع) بما هو أهله فلقد أتى سعد أمام معاوية بنفيس الأحاديث المأثورة عن النبي ﷺ في فضل علي (ع) وجسيم خطره عند الله جل وعلا ، لقد قلب الله لسان سعد في المقام ، ونطق سعد بضد مايهوى ابن ابي سفيان كما قلب الله تعالى لسان بلعم بن باعورا عندما امره الجبارون للدعاء على موسى عليه السلام وقومه

ولم يكن في استطاعة معاوية أن يمنع سعداً من ذكر هاتيك الفضائل في علي (ع) عندما افتتح سعد كلامه بقوله : اما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله (ص)

فلن أسبه ، لأن تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم » فلقد نوه سعد بأمر عظيم وأشار الى خطر جسيم ، هما لعمر أبيك ينبئان بأجلى من الشمس الطالعة عن كون الحق لعلي (ع) وان الغير له ظالم

هذا ولا ريب ان التفوه بمثل هذا الكلام لأثقل من الجبال الرواسي على سمع معاوية ، ان معاوية قد تجاهر بالعداء للإمام أمير المؤمنين (ع)، وأوجب سبه والبراءة منه ، ونسب اليه (ع) كل ما لا يليق بشأنه ، وعلم انه لا يصفو له الجو ولا يتم له الملك والسلطان كما يريد ولا يلعب بالدين كيف يشاء إلا بتنفير الناس عن علي (ع) وتبغيضه من المسلمين وخصوصا في ديار الشامات بما وضعه من طرق الانتقاض والذم والسباب ، فكيف اذاً يرضى معاوية بمدح سعد او غير سعد لعلي (ع) أم كيف يرضى ان يأتي سعد او غير سعد على امير المؤمنين ابي الحسن بحديث مأثور عن النبي (ص) في فضل هذا الامام المبرز ، ان معاوية لا يرضى بشيء من هذا ابداً وان وقعت السماوات على الأرض

أجل ان ابغض شيء الى معاوية ، ان اثقل ما يكون على طبعه أن يأتي صحابي او تابعي بحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في فضل علي بن ابي طالب (ع) ، او يكشف عن آية قرآنية نزلت في مدحه (ع) والثناء عليه ، وللرماد في عيني معاوية احب اليه من هذا الذكر الجميل ، بل وللموت احب اليه من ان يذيع ذائع فضيلة من فضائل الإمام علي (ع)

وبالرغم من هذا كله فلم يكن في استطاعة معاوية عندما رن في اذنيه صدى ذلك الافتتاح البهيج ان يلزم سعداً بالكف عن ابراز تلك الثلاث اللاتي قالهن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) بل كف عنه وتركه يتلوها واحدة واحدة بهدوء وطمأنينة

وما هذا لعمر أبيك إلا أن العناية الإلهية هي التي قد أخضعت معاوية لأن يكون كله إصغاء لسماع حديث سعد

ان سعداً قد نثر لآلىء ودرر بين يدي معاوية

وما حديث سعد هذا إلا عرائس تتجلى حسنا وجمالا وبهجة وبهاء

أنت يا أبا الحسن أهل لأن يزف لك الرسول (ﷺ) هذه العرائس ويتحفك بتلك اللآلىء والدرر

وأين ثم أين أجلاء الصحابة وأكابرهم عن مثل هذه العرائس واللآلىء ، إنها لعلي (ع) وحده ، إنها وأضعافها وما لا يعد ولا يحصى من الفضائل والمناقب لأبي الحسن (ع) إنها لقاتل عمرو ومرحب ، لداحي باب خيبر ، لصاحب البيعة يوم الغدير لمستودع أسرار الرسول (ﷺ) ومؤتمنه الخاص ، وسفيره في كل أمر خطير ، أمير المؤمنين علي (ع)

إن هذه الفضائل الثلاث التي أدلى بها سعد الى معاوية إنما هي نموذج ما لعلي (ع) من الفضائل النبيلة وعليها فقس ما سواها من غر فضائله السامية

ليس للمبرزين من المهاجرين والأنصار أن يبلغوا شأو أمير المؤمنين (ع) ولا أن يضاهوه بأقل القليل من جهات الفضل والفضيلة مهما كان عندهم من العلم والعرفان ، ومهما خدموا الإسلام والمسلمين بإخلاص وصفاء وتضحية ، ومهما قربوا بصهر أو نسب من صاحب الرسالة ؛ إن لعلي (ع) التفوق عليهم تفوق السماء على الأرض ، والفضل الباهر فضل الشمس والقمر على الترب والحصى

ان هذا الحكم ثابت بلا ريب ، وهو من نتائج النظر والتفكير ، وثمرات الغربلة والتمحيص لنفسيات الصحابة ، وذلك بعد الإحاطة بأحوالهم والوقوف على مالهم من آثار قيمة وامتيازات خاصة لدى الدستور الإسلامي وعند مشرعه الحكيم ، خصوصاً

إذا نظرنا إلى تلك الفضائل الثلاث لعلي عليه السلام التي نشرها سعد على بساط معاوية فإنها تعطينا مقياسا صادقاً لا يخطىء أبداً لمعرفة الفرق بين أمير المؤمنين عليه السلام والصحابة .

أجل ان هذا المقياس يثبت ذلك الفضل والتفوق لعلي (ع) على الصحابة أجمعين كما يثبت نور الشمس فضلها على سائر الكواكب

إن تلك الفرائد الثلاث التي جاء بها سعد لمثبتة من طرق الخاصة والعامة ولقد تكلمنا على آية المباهلة مفصلا في كتابنا « رسالة الايضاح في إرشاد القضاة إلى الصلاح» وأشرنا هناك ، بعد إيراد تفسيرها من الطرفين ، إلى دلالتها بجلاء على أن الخلافة لعلي عليه السلام وعسانا نوفق إن شاء الله تعالى لذكرها في هذا السفر الجليل بشكل أبسط

الإشارة إلى حديث إعطاء الراية يوم خيبر

أما قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم خيبر : لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله وان ذلك الرجل علي (ع) لا سواه فذلك أمر لا يشك فيه اثنان، وفي نقل آخر أنه قال (ص) في هذا اليوم لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله كراراً غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، نعم ان عليا (ع) هو الكرار في كل حرب يجبن عندها الأبطال ويحجم عنها الفارس المقدام ، لم يحدث (ع) نفسه بالفرار أبداً في جميع الغزوات النبوية بينما كان غيره من أكابر الصحابة قد فر وجبن واستولى عليه الرعب حتى لم يطق اصطباراً ؛ و كيف يتصور الفرار في حقه (ع) وهو نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنص القرآن الكريم ، ولئن كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يحدث نفسه بالفرار او يجوز في حقه ذلك فعلي (ع) كذلك وحاشا للرسول من كلا هذين الامرين ثم حاشا ، فكذلك اخوه علي (ع) حاشاه

منها ثم حاشاه .

كذلك ان عليا (ع) هو ذلك الرجل الذي لا يرجع إلا بالفتح الإلهي في جميع غزوات النبي وحروبه .

فكان علي (ع) طبق الوصفين معا المشار إليهما بقوله ﷺ كرارا غير فرار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه

هذان الوصفان هما الميزان الذي نصبه الرسول ﷺ لتعيين ذلك الرجل الذي يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، ولما كان علي عليه السلام هو مثال هذا الميزان على النحو الأكمل فقد تعين أن يكون هو صاحب المحبة من الجانبين

ويقصد النبي ﷺ بقوله : كراراً غير فرار ؛ لا يرجع حتى يفتح الله على يديه العموم لا خصوص خيبر ، وان كان المورد يوم خيبر ، وظهوره في خصوصه أتم

ولقد نظم حسان بن ثابت هذا الحديث النبوي « حديث إعطاء الراية يوم خيبر » بلآلىء قريضه فقال

وكان علي أرمد العين يبتغي ... دواء فلما لم يحس مداويا
شفاه رسول الله منه بريقه ... فبورك مرقيا وبورك راقيا
وقال سأعطي الراية اليوم فارسا ... كميا شجاعا في الحروب محاميا
يحب الإله ، والإله يحبه ... به يفتح الله الحصون الاواببا
فخص به دون البرية كلها ... عليا ، وسماه الوصي المؤاخيا

ثم انظر وتأمل في حديث إعطاء الراية يوم خيبر فترى فيه من الدلالة على سمو عظمة الإمام علي (ع) ماهو أجلى من الشمس ، حتى أن عمر بن الخطاب لم يتمن الإمرة إلا في هذا اليوم « يوم » خيبر فقال فيما نقل عنه وأشار اليه في زهر الربيع

في أوائل الربع الأخير منه ، قال : ما تمنيت الإمارة وقتاً من الأوقات الا ذلك الوقت » وفي هذا التمني من السر ما لا يخفى على اللبيب الفطن

وعلى كل فالله تعالى ورسوله ﷺ يحبان علياً (ع) في جميع أطواره وأحواله ان هذه المحبة الإلهية له (ع) لن تفارقه في حله وترحاله ؛ في قيامه وقعوده ، في حربه وسلمه ؛ فالله تعالى يحب أمير المؤمنين (ع) وهو قائم بحرب الناكثين يوم البصره ، والقاسطين يوم صفين ، والمارقين يوم النهروان ، ان من لوازم هذه المحبة كون الحق معه (ع) وأن إراقة دماء من حاربه في هذه الوقائع الثلاث إنما كان سيف الدين ؛ سيف الشريعة المحمديه ، ولا يسوغ القول بأن الله تعالى أحب علياً (ع) وعلي على غير الحق ، إذ في هذا القول إسناد القبح الى الله سبحانه وما لا يرضى به العاقل الحكيم لنفسه ، كما لا يسوغ القول بأن الله تعالى أحبه (ع) وهو سبحانه لا يعلم بأنه سيقوم بحرب أولئك في تلك الوقائع إذ في هذا القول نسبة الجهل الى جلال قدسه وهو كفر تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

والخلاصة انا اذا نظرنا الى أن الله تعالى قد أحب علياً (ع) فإنا نستنبط عندئذ بكل سهولة أن الحق معه (ع) في هاتيك الحروب الثلاث بنهج ما ذكرنا من البيان ان هذا الاستنباط لهذه الحقيقة بأعلى مراتب الجلاء ، يسدد هذه الحقيقة شرف الإمامة وقداسة الوصاية ، وتضحية علي (ع) واخلاصه وتفانيه في سبيل خدمة الدين والفضيلة ، كما يبرزها متلألئة اعتماد الرسول (ص) عليه (ع) في جميع المواطن ؛ وثقته به في المهمات والشدائد ، وايداعه علومه وأسراره من بين عظماء الصحابة وأجلائهم

ولقد نوه بهذه الحقيقة الإمام أبي جعفر الباقر (ع) ، وذلك كما رواه الطبرسي في كتاب « الاحتجاج » أن سالما دخل على ابو جعفر (ع) فقال : جئت اكلمك في أمر هذا الرجل ، قال (ع) أيما رجل ، قال : علي بن أبي طالب (ع) ؛ قال (ع) : في

أي أموره ، قال : في أحداثه ، ، قال (ع) : انظر ما استقر عندك مماجاءت به الرواة عن آبائهم ، قال : ثم انسبهم ، ثم قال (ع) : يا سالم أبلغك أن رسول الله (ص) بعث سعد بن عبادة براية الأنصار الى خيبر فرجع منهزما ، ثم بعث عمر بن الخطاب براية المهاجرين والأنصار ، فأتى سعد جريحا ، وجاء عمر يجبن أصحابه ويجبنوه ، فقال رسول الله ﷺ : هكذا يفعل المهاجرون والأنصار حتى قالها ثلاثا ، ثم قال (ص لأعطين الراية غداً رجلا كراراً ليس بفرار يحبه الله ورسوله ، قال : نعم ، وقال القوم جميعا ايضا ، فقال ابو جعفر (ع) : يا سالم ان قلت ان الله عز وجل أحبه وهو لا يعلم ما هو صانع فقد كفرت ، وان قلت ان الله عز وجل أحبه وهو يعلم ما هو صانع فأي حدث ترى له ، فقال : أعد علي فأعاد (ع) عليه ، فقال سالم : عبدت الله على ضلالة سبعين سنة

ويأتي ان شاء الله تعالى البحث مفصلا في موقف أمير المؤمنين عليه السلام يوم خيبر ، واثبات ان قيام هذه الغزوة إنما كان به عليه السلام ولولاه لما انتصر فيها المسلمون

الإشارة إلى حديث أنت مني بمنزلة هارون وموسى

وأما قول الرسول ﷺ لعلي (ع) : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا انه لا نبي بعدي ؛ فهو في أعلى مراتب الظهور في ثبوت الخلافة لعلي (ع) وهو بلا ريب ثابت من طرق الخاصة والعامة ، ولقد هتف به النبي ﷺ في عدة مواقف وعلى الخصوص عندما خلفه في المدينة أثناء مسيره ﷺ إلى تبوك ، وكان السبب في إنشائه ﷺ لهذا الحديث في المقام أنه ، لما مضى بالمسلمين إلى تبوك وخلف عليا (ع) بالمدينة قام المنافقون بإرجافاتهم واكثروا القال والقيل والهمز واللمز في علي عليه السلام فأخذوا يلهجون بشتى الأقوال بمافيه انتقاص

لأمير المؤمنين عليه السلام ، وجعلوا يرددون على ألسنتهم وفي مجالسهم أن محمداً كيف يخلف علياً بالمدينة وليس فيها إلا النساء والصبيان ، ما فعل هذا إلا استخفافا بشأنه ، لقد سمع علي (ع) مقالهم هذا فلم يعبأ به ولم يكترث بهم وبلغطهم حيث انه (ع) يعلم حب الرسول ﷺ له ومزيد قربه منه وسمو منزلته عنده ، كما انه يعلم حكمة الرسول ﷺ في تخليفه له في المدينة وأن في هذا تمام المصلحة ، لكن عليا (ع) أراد رفع رهجهم وإثبات أن ما قالوه إنما هو ارجاف وبهتان ، لذا لحق (ع) بالنبي ﷺ وأعلمه بمقال المنافقين لينشىء ﷺ ما فيه جمال المدح له (ع) وكمال العناية المحمدية به ، فيسمعه المنافقون عندئذ فلا يبقى لمقالهم أثر ويرجعون بالخيبة والفشل ، وما أن سمع النبي ﷺ كلام علي (ع) حتى بادره قائلا : يا علي ان المدينة لا تصلح إلا بي أو بك ، فإذا خلت منهما طمع فيها الأعراب ومن حولها وأغاروا عليها فانتهبوها وسبوا نساءها وأطفالها ، ثم منحه الوسام الأكبر ، وسام الخلافة فقال ﷺ له : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي

أجل لقد رضي علي يا رسول الله بهذه المنزلة ، انها وأيم الحق منزلة خطيرة تمثل السمو الاعلائي على جميع الصحابة ، انها منزلة وأي منزلة ، تنبىء عن سائر خلال الخير والفضيلة ، انها منزلة الخلافة بلا ريب .

ان منزلة هارون من موسى كانت من جهات عديدة ، كلها علم وفضل وكمال ولكن أهمها وأشهرها منزلة الخلافة

ان عموم هذه المنزلة ثابت لعلي عليه السلام من الرسول محمد ﷺ سوى النبوة فهي خاصة بالرسول ﷺ

يفهم هذا ويدركه ويعلمه بلا ريب من جعل الانصاف دليله ، وأخذ نور

العدالة مرآته .

أما أرباب العناد واهل التقليد للآباء والأجداد والذين ركنوا الى العصبية والأهواء وانقادوا للذة الأمر والنهي فلا يرون لهذا الفهم أثراً ، ولا لشرف تلك المنزلة اعتباراً

لقد قبض الإمام أمير المؤمنين (ع) على هذا الوسام « وسام الخلافة » وآب الى المدينة يرفل بأثواب المسرة والابتهاج ، ولا متكلم بعد هناك من المنافقين لما أن سمعوا هذا الحديث النبوي الخطير ، وعلموا أن للرسول (ص) تمام العناية بعلي عليه السلام وان لعلي عنده سمو المكانة وعظيم الزلفى .

واليك في المقام ما اشار اليه جابر بن عبد الله الانصاري من المعنى لحديث «أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وانه الخلافة ، وذلك كما رواه ابو جعفر بن بابويه القمي في كتاب « معاني الاخبار » بسنده عن أبي هارون العبدي قال : سألت جابر بن عبد الله الأنصاري عن معنى قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام « انت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي » قال استخلفه بذلك والله على امته في حياته وبعد وفاته وفرض عليهم طاعته فمن لم يشهد له بعد هذا القول بالخلافة فهو من الظالمين .

لقد اشار هذا الصحابي الكبير الى ان المراد منه الخلافة ؛ وانها هي الهدف الذي يرمي اليه الرسول ﷺ أولا وبالذات

ثم اليك في المقام ايضا استدلال الامام زين العابدين عليه السلام بحديث انت مني بمنزلة هارون من موسى » على أفضلية علي عليه السلام على مشايخ الصحابة (الثلاثة) وذلك كما رواه في كتاب (معاني الاخبار) بسنده عن أبي خالد الكابلي قال : قيل لزين العابدين علي بن الحسين عليه السلام : ان الناس يقولون ان خير الناس بعد رسول الله (ص) أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي عليه السلام قال عليه السلام : فما يصنعون

بخبر رواه سعيد بن المسيب عن سعد بن ابي وقاص عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال لعلي عليه السلام : انت مني بمنزلة هارون من موسى الا أنه لا نبي بعدي ، فمن كان في زمن موسى مثل هارون

لقد أشار الإمام السجاد (ع) بكلامه هذا الى إحدى منازل هارون من موسى وذلك حيث كان السؤال منه (ع) عن خصوص الأفضلية ولو أن السؤال كان منه (ع) عن أمر الخلافة لصح جوابه أيضا بهذا الحديث حيث أن الخلافة منزلة ايضا من منازل هارون من موسى ، فكما أن أفضلية هارون على أهل زمانه وعلى خواص موسى هي احدى منازله من موسى فكذلك خلافة هارون هي احدى منازله من موسى ولو أن الإمام زين العابدين (ع) لم يُسأل عن الأفضلية بل عن معنى هذا الحديث ، حديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لأجاب (ع) بنحو ما أجاب به جابر بن عبد الله الأنصاري

ثم اليك في المقام ايضا ما كشف عنه ابو جعفر بن بابويه القمي من الحقائق الخطيرة لحديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » لقد أشار اليها في كتابه « معاني الأخبار » قال : أجمعنا وخصومنا على نقل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعلي (ع) أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبي بعدي » فهذا القول يدل على أن منزلة علي (ع) منه في جميع أحواله منزلة هارون من موسى في جميع أحواله الا ما خصه الاستثناء الذي في نفس الخبر ؛ فمنازل هارون من موسى انه كان اخاه ولادة ، والعقل يخص هذه ويمنع أن يكون النبي صلى الله عليه وآله وسلم عناها بقوله لأن عليا (ع) لم يكن أخا له ولادة ومن منازل هارون من موسى أنه كان نبيا معه واستثناء النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمنع من أن يكون علي عليه السلام نبيا ، ومن منازل هارون من موسى بعد ذلك أشياء ظاهرة وأشياء باطنة فمن الظاهرة أنه كان أفضل أهل زمانه وأحبهم اليه وأخصهم به وأوثقهم في

نفسه وأنه كان يخلفه على قومه اذا غاب موسى عنهم وانه كان بابه في العلم وانه لو مات موسى وهارون حي كان هو خليفته بعد وفاته ، والخبر يوجب أن هذه الخصال كلها لعلي عليه السلام من النبي (ص) ، وما كان من منازل هارون من موسى باطنا فهو لعلي عليه السلام من النبي لأن الخبر يوجب ذلك

ثم قال : وليس لقائل أن يقول ان النبي (ص) عنى بعض هذه المنازل دون بعض « وذلك » فيلزمه ان يقال عنى البعض الآخر دون ماذكرته فيبطل حينئذ أن يكون عنى معنى ويكون الكلام هذراً ؛ والنبي ﷺ لا يهذر في قوله لانه انما كلمنا ليفهمنا ويعلمنا فلو جاز ان يكون عنى بعض منازل هارون من موسى دون بعض ولم يكن في الخبر تخصيص ذلك لم يكن أفهمنا بقوله قليلا ولا كثيراً ولما لم يكن ذلك وجب أنه قد عنى كل منزلة كانت لهارون من موسى مما لم يخصه العقل ولا الاستثناء في نفس الخبر وإذا وجب ذلك فقد ثبتت الدلالة على أن علياً (ع) أفضل أصحاب رسول الله ﷺ وأعلمهم وأحبهم إلى رسول الله (ص) وأوثقهم في نفسه وأنه يجب له أن يخلفه على قومه إذا غاب عنهم غيبة سفر أو غيبة موت لأن ذلك كله كان في شرط هارون ومنزلته من موسى

ثم قال : فإن قال قائل إن هارون مات قبل موسى ولم يكن إماماً بعده فكيف قست أمر علي (ع) على أمر هارون بقول النبي ﷺ هو مني بمنزلة هارون من موسى ، وعلي (ع) قد بقي بعد النبي ﷺ ، قيل له : نحن إنما قسنا أمر علي (ع) على أمر هارون بقول النبي ﷺ هو مني بمنزلة هارون من موسى فلما كانت هذه المنزلة لعلي (ع) وبقي علي وجب أن يخلف النبي (ص) في قومه بعد وفاته ، ومثال ذلك لو أن الخليفة قال لوزيره : لزيد عليك في كل يوم يلقاك فيه دينار ؛ ولعمرو عليك مثل ما شرطته لزيد فقد وجب لعمرو مثل ما لزيد فاذا جاء زيد الى

الوزير ثلاثة أيام فأخذ ثلاثة دنانير ثم انقطع ولم يأته وأتى عمرو الى الوزير ثلاثة أيام فقبض ثلاثة دنانير فلعمرو أن يأتي يوما رابعا وخامسا وأبداً سرمداً ما بقي عمرو وعلى هذا الوزير ما بقي عمرو أن يعطيه في كل يوم أتاه ديناراً وإن كان زيد لم يقبض إلا ثلاثة أيام وليس للوزير أن يقول لعمرو : لا أعطيك إلا مثل ما قبض زيد لأنه كان في شرط زيد أنه كلما أتاك فاعطه ديناراً ولو أتى زيد لقبض ، وفعل « الخليفة » هذا الشرط لعمرو وقد أتى فوجب أن يقبض ، فكذلك إذا كان في شرط هارون أن يخلف موسى على قومه ؛ ومثل ذلك لعلي (ع) فوجب أن يخلف النبي (ص) في قومه نظير ما مثلناه في زيد وعمرو

ثم قال : فإن قال قائل : لم يكن هارون لو مات موسى أن يخلفه على قومه ، قيل : بأي شيء ينفصل من قول قائل لك انه لم يكن هارون أفضل أهل زمانه بعد موسى ولا أوثقهم في نفسه ولا نائبه في العلم فإنه لا يجد فصلا لأن هذه المنازل لهارون من موسى مشهورة فإن جحد جاحد واحدة منها لزمه جحودها كلها

فهذا ما أردنا إثباته في المقام من كلام ابي جعفر بن بابويه القمي عندما تعرض في كتابه الآنف الذكر للكلام على حديث « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » ولقد كشف رضوان الله عليه بفضل بيانه عن جوهر معنى هذا الحديث ودفع ما ربما يقوله قائل فيه من وهم وشبهة

ولقد تحصل من مجموع ما أوردناه ان هذا الحديث يلمع كالشمس عن معان كمالية وصفات اجماليةاسواء كانت ظاهرية او باطنية قد منحها الله لهارون من موسى وهي بتمامها ثابتة لعلي (ع) إلا ما خصه العقل منها واخرجه الاستثناء الذي في نفس الخبر كما قداتضح جليا ان فهم الأفضلية والخلافة على الخصوص من تلك المعاني والصفات من حديث (انت مني) امر مفروغ عنه عند العلماء والصحابة ، وهو مما

لا يرتاب بفهم مثله ارباب العرف والمنطق ، وذوو اللسان ، واهـل التفهيم والتعليم ، عند القاء مثله على الأسماع من الجمل والتعابير

إن معاوية وغير معاوية يعلم هـذا كله ولا يخفى عليه وعليهم شيء من ذلك ابداً ، لكن الهوى يصد عن الاذعان والخضوع للحق ، ، وإن لذة الأمر والنهي تحجب معاوية واضراب معاوية عن الانقياد للأخذ بهذا الحديث حديث « انت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » كما تمنعه وتمنعهم عن الامتثال لسائر الأحاديث النبوية « من طريق الخاصة والعامة » التي هي بمفردها ومجموعها تبرهن بجلاء على أمر بن جوهريين لعلي (ع) هما الأفضلية والخلافة

عمر بن الخطاب يحدث الصحابة بفضل علي (ع) ويقول : سمعت

رسول الله يقول في علي ثلاث خصال وددت ان لي واحدة

منهن فواحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس

مع حديثه مع ابن عباس

ما أجمل البحث والتنقيب ، وما أجل فوائدهما الحكيمة ، إن البحث والتنقيب يوصلان إلى ما لم يكن يعلمه الإنسان من الحقائق النفيسة التي لها أعلى القيم عند أهل العلم والنظر ، ولها جمال اللذة الروحية عند ذوي الإنصاف والعدالة

فلقد ذكرني قول سعد لمعاوية : أما ما ذكرت ثلاثاً قالهن له رسول الله (ص) فلن أسبه لأن تكون لي واحدة منهن احب إلي من حمر النعم؛ قول عمر بن الخطاب يخاطب الصحابة ، وذلك كما أثبته في كتاب « كشف الغمة » من كتاب الخصايص عن العباس بن عبد المطلب قال : سمعت عمر بن الخطاب وهو يقول : كفوا عن ذكر علي بن أبي طالب (ع) فإني سمعت رسول الله (ص) يقول في علي ثلاث خصال وددت أن لي واحدة منهن فواحدة منهن أحب إلي مما طلعت عليه الشمس ، كنت

وأبو بكر وأبو عبيدة بن الجراح ونفر من أصحاب رسول الله (ص) إذضرب النبي على كتف علي بن أبي طالب (ع) فقال (ص) : يا علي أنت أول المسلمين ، وأنت أول المؤمنين إيمانا ، أنت مني بمنزلة هارون من موسى ، كذب يا علي من زعم انه يحبني ويبغضك

وأما حديثاه مع ابن عباس فقد أثبتها في كتاب « كشف الغمة » قال عند إثبات الأول منها : حدث الزبير عن رجاله عن ابن عباس قال : اني لأماشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سكة من سكك المدينة إذ قال لي يا ابن عباس ما أظن صاحبك إلا مظلوما ، قلت في نفسي والله لا يسبقني فقلت : يا أمير المؤمنين فأردد ظلامته فانتزع يده من يدي ومضى وهو يهمهم ساعة ثم وقف فلحقته فقال يا ابن عباس اما أظنهم منعهم منه إلا انهم استصغروه فقلت في نفسي هذه والله شر من الأولى فقلت : والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ براءة من صاحبك قال : فأعرض عني

وقال عند إثبات الثاني منها : قد ذكرت بهذا الحديث حديثا يشابهه ، نقلت من كتاب عز الدين عبد الحميد بن أبي الحديد في تفسير نهج البلاغة ، قال : نقلت من كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر بسنده عن ابن عباس قال دخلت على عمر رضي الله عنه في أول خلافته وقد ألقي له صاع من تمر على خصفة (١) فدعاني للأكل فأكلت تمرة واحدة واقبل يأكل حتى اتى عليه ثم شرب من جر كان عنده واستلقى على مرفقة (٢) له وطفق يحمد الله يكرر ذلك ثم قال : من اين جئت يا عبد الله قلت : من المسجد ، قال : كيف خلفت بني عمك فظننت يعني عبد الله بن جعفر فقلت : خلفته

---

(١) الخصفة بالتحريك الجلة من الخوص تعمل للتمر وجمعها خصف وخصاف

(٢) المرفقة المخدة وقد ترفق إذا أخذها

يلعب مع أترابه ؛ قال : لم اعن ذلك إنما عنيت عظيمكم اهل البيت قلت : خلفته يمتح الغرب (١) على نخلات له وهو يقرأ القرآن ، فقال : يا عبد الله عليك دماء البدن إن كتمتنيها أبقي في نفسه شيء من امر الخلافة ، قلت : نعم ، قال : ايزعم ان رسول الله (ص) جعلها له قلت : نعم وازيدك سألت ابي عما يدعيه قال : صدق ، فقال عمر : لقد كان من رسول الله (ص) في امره ذرو (٢) من قول لا يثبت حجة ولا يقطع عذراً وقد كان يزيغ في امره وقتا ما ، ولقد ارادفي مرضه ان يصرح باسمه فمنعت من ذلك اشفاقا وحفيظة على الإسلام ، لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش ابداً ، ولو وليها لانتقضت عليه العرب من اقطارها ، فعلم رسول الله (ص) اني علمت ما في نفسه فأمسك ، وابى الله إلا امضاء ما حتم ... ثم قال في كتاب « كشف الغمة » بعد اثبات هذا الحديث : قلت : يشير الى اليوم الذي قال فيه ايتوني بدواة و كتف الحديث ، فقال عمر : ان الرجل ليهجر (٣)

سعد يحدث معاوية بقول النبي لعلي

أنت مع الحق ، والحق معك

وإن لسعد بن أبي وقاص موقفاً آخر مع معاوية بن أبي سفيان يحدثه فيه عن فضل علي (ع) بما سمعه من الرسول ﷺ مشافهة ، وذلك كما أثبته في كتاب « كشف الغمة » من مناقب ابن مردويه عن عبيد الله بن عبد الله الكندي قال : حج

---

(١) متح الدلو يمتحها متحا من باب نفع إذا جذبها مستقيا لها ، والماتح المستسقي من البئر من أعلاها ، وبالياء الذي يكون في أسفل البئر يملأ الدلو ، والغرب هو كفلس الدلو العظيم الذي يتخذ من جلد ثور وهو المراد هنا ، والغرب كقصب الماء السائل بين البئر والحوض بقطر من الدلاء

(٢) ذرو من قول أي طرف منه ولم يتكامل

(٣) لقد أفردنا مبحثا هاما في هذا الكتاب فيما جاء من طريق ابن عباس من الاحاديث النبوية في فضل الإمام علي (ع) وفيما كان له من مواقف مهيبة للدفاع عن قداسة هذا الإمام المعصوم (ع)

معاوية فأتى المدينة ، وأصحاب النبي ﷺ متوافرون فجلس في حلقة بين عبد الله ابن عباس وعبد الله بن عمر فضرب بيده على فخذابن عباس ثم قال : أما كنت أحق وأولى بالأمر من ابن عمك قال ابن عباس : وبم ، قال : فانصاع (١) عن ابن عباس وأقبل على سعد قال : وأنت سعد الذي لم تعرف حقنا من باطل غيرنا فتكون معنا أو علينا قال سعد : اني لما رأيت الظلمة قد غشيت الأرض قلت لبعيري : هخ فأنخته حتى اذا استقرت مضيت قال : والله لقد قرأت المصحف يوماً بين الدفتين ما وجدت فيه هخ فقال : أما اذا أبيت فإني سمعت رسول الله (ص) يقول لعلي (ع) : أنت مع الحق والحق معك ، قال : لتجيئني بمن سمعه معك أو لأفعلن قال: أم سلمة،قال: فقام وقاموا معه حتى دخلوا على أم سلمة قال : فبدأ معاوية فتكلم فقال : يا أم المؤمنين ان الكذابة قد كثرت على رسول الله (ص) بعده لا يزال قائل يقول:قال رسول الله (ص) ما لم يقل فإن سعداً روى حديثا زعم انك سمعته معه قالت : ما هو ، قال : زعم ان رسول الله ﷺ قال لعلي (ع) أنت مع الحق والحق معك ، قالت : صدق ، في بيتي قاله ، فأقبل على سعد فقال : الآن إلزم ما كنت عندي والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادما لعلي (ع) حتى أموت

ما زالت مناهج معاوية التي قام بها لإشادة ملكه وسلطانه مبنية على السياسة الكاذبة ، وقائمة على مختلف أنواع الدجل والتمويه

لقد سار معاوية تلك المدة التي لا يستهان بها أيام ولايته على الشام من قبل عمر ابن الخطاب إلى أن صفا له الجو وهو يخفي الحقيقة ويغطيها بكلامه المزيف الذي يظهره للعامة بقالب ديني لكنه في الواقع دجل وتمويه وخداع صرف ، كما كان معاوية يبرز بأعماله أمام جمهور المسلمين بمبرز أهل الدين لكنه إنما كان يتخذ ذلك

---

(١) انصاع : انفتل

توصلا لأغراضه الشخصية وأطماعه الدنيوية

لقد رأى معاوية أن كلمة الإسلام قد علت ، ونوره قد انتشر ، وشمس هداه قد أشرقت حتى ملأت الكون بضياها المتوقد ، فما كان يسعه ، والحال هذا ، ان يحمل الناس دفعة واحدة على مبدئه الجاهلي الذي ما زال معتنقا له ومتمسكا به إلى آخر لحظة من حياته ، ولا كان في استطاعته ان يسوقهم بعصاه السفيانية إلى عبادة اللات والعزى ، فإن الإسلام قد تمكن في النفوس ودخل في خلال القلوب فليس بالهين الإرجاع عنه صراحة لأول مرة إلا بمثل هاتيك المناهج التي ابتدعتها فكرة معاوية الغشيمة

لقد رأى معاوية انه لا ينجح قطعا بحمل الناس على مبدئه الجاهلي ، وانه يؤوب بسلوك هذه الخطة بالخيبة والخذلان ، وربما كان في ذلك انهيار العرش الأموي ، فلم يكن لدى معاوية عندئذ إلا ان يبرز امام المسلمين بالمظاهر الدينية ويريهم انه من المحافظين على قداسة الشريعة الإسلامية إلى ان يتمكن من إيجاد الانقلاب في الدين

لقد اشتمل هذا الحديث على امور فاه بها معاوية ، هي وابيك ، هي ومنشي الكائنات لم تبتن إلا على الدجل والتدليس والمراءة

اولاً : قوله لابن عباس : فما كنت احق واولى بالأمر من ابن عمك ، ما اصلفك يا معاوية واشد وقاحتك ؛ وما اجرأك على انتهاك الحرمة واحياء البدعة ، إنا إذا نظرنا في صفحات الكتب لرأينا بأن معاوية هو اول المؤلبين على قتل عثمان وفي طليعة المحرضين على الفتك به وذلك ليستولي على الأمر من بعده ويجعل قتله حجة له على حرب علي (ع) ، ولقد بلغ معاوية ان عثمان محاصر ؛ وطرق سمعه قيام الذين قاموا عليه وانكارهم لأعماله ، وكان في تمكن معاوية واستطاعته ان يجهز جيشا في ذلك الوقت يعد عشرات الوف المحاربين من اهل الشام فيصد به جماح القائمين على عثمان

والمنكرين لأعماله ، فلم اذاً يا معاوية خذلت ابن عمك عثمان وعندك من العدة والعدد ما لا يستهان به ، ان هذا لا يخفى على من امعن النظر في تاريخ معاوية الأسود ، وما حال معاوية الا حال مروان بن الحكم حين تمكن من قتل طلحة يوم البصرة فقتله بسهم مسدد .

وبم كنت يا معاوية احق وأولى بالأمر من الإمام علي بن أبي طالب (ع) أبعلمك وفضلك ، أم بزهدك وورعك ، أم بسبقك الى الإسلام ، ام بجهادك بين يدي الرسول ﷺ ، ام بقرابتك منه ومصاهرتك له ، انك يا ابن هند وغيرك عديم من هذه الفضائل ، انها لعلي (ع) وحده ، نعم ان معاوية احق واولى بالامر بسياسته الكاذبة ، ودجله وتدليسه ، وتمويهه على همج اهل الشام ، ولو ان قتل عثمان كان سبباً لاحقيته واولويته بالامر لكان عبدالله بن عمر احق واولى به من معاوية لان اباه عمر ابن الخطاب مات قتلا ، انما هذا الامر يا معاوية لمن تفوق على البشر بكل فضيلة وسادهم بكل خلة جميلة ، انما هو لمن رتل الله سبحانه ذكره في القرآن بآي المدح والثناء بما لم يبلغ شأوه بالغ ولم يصل اليه اي عالم عارف ، انما هو لمن ابلغ الرسول ﷺ في تقريبه والتنويه باسمه ، انما هو لمن اتخذه النبي (ص) ، اخا ووصيا ووزيراً ؛ انما هو لصاحب البيعة يوم الغدير علي امير المؤمنين (ع)

ثم ان قتل عثمان الذي مازال معاوية يحتج به لا يصلح ان يكون بذاته سببا للاستيلاء على الخلافة ، بل انها سببها احد امرين إما توفر الفضائل ، او اجتماع الصحابة وخصوصا البدريين ، وان كان ليس للثاني اعتبار عند الإمامية ، وكلا الامرين متوافران في الامام علي (ع) وليس لمعاوية فيهما حظ ابداً

(ثانيا) قوله لأم سلمة : يا ام المؤمنين ان الكذابة قد كثرت على رسول الله ﷺ فما نطق معاوية حين خاطب ام سلمة بهذا الا بالباطل ولا اتى الا بالدجل

والتدليس ، نعم ان ابن آكلة الأكباد هو مبتدع الكذب ، والمتهجم على قداسة الرسول ﷺ بالافتراء عليه بما هو ﷺ بريء منه ، ان معاوية هو الذي فتح باب الاختلاق في الدين والاسناد إلى النبي ﷺ ما لم يقله ، وهو الذي شرع النفاق ، وعلم الناس أن يقولوا غير الحق ويطلبوا ما ليس لهم ، وهو الذي زين للناس بأقواله وأعماله حب المراء وقوى عزائمهم على تحريف الكلام عن مواضعه ، لقد أوجد معاوية هذا كله وقام به غير متأثم ، فما أجرأ معاوية إذاً حين يخاطب أم سلمة بقوله : يا أم المؤمنين إن الكذابة قد كثرت على رسول الله ، يقول هذا وهو رأس الكذابين بقوله وهو الحاث على الكذب على الله ورسوله ، بقوله وقد نشر الكذابين في ديار الشامات ، ان هذا وأيم الحق هو كمال الدجل والتدليس ، إن أم سلمة لتعلم وغير أم سلمة يعلم ما انطوى عليه باطن معاوية من خبث السريرة وسوء النوايا ، والحقد على الدين وأهله ، والتصميم على محو الشعار الإسلامي وإبادة كل من نطق بالشهادتين بكل ما لديه من حول وقوة

« ثالثاً » قوله لسعد : والله لو سمعت هذا من رسول الله ما زلت خادماً لعلي (ع) حتى أموت ، إن هذا القول من معاوية شر من القولين الأولين ، ولقد بلغ سمع معاوية الكثير في فضل علي (ع) من سعد وغير سعد ، ان معاوية رأى الحق جلياً في جنب علي (ع) ولكن شيطانه لم يدعه بوجه لتسليم الامر للامام أبي الحسن ، ولم يخف على معاوية ذلك الحديث النبوي الذي جاء من طريق سعد ان الحق مع علي ، وعلي مع الحق ؛ ولكن لذة الأمر والنهي قد حالت بين معاوية وبين الخضوع لهذا الحديث الشريف ، إن هوى معاوية بابنه يزيد ، إن شغفه بهذا الوليد الفاسق ؛ ان استهتاره بيزيد شارب الخمر وقاتل النفس المحرمة ، إن هذا كله ليمنع معاوية من الانقياد لعلي (ع) والرجوع الى طاعته خاضعا ذليلا

واعلم ان في المقام أخباراً أخر ، لسانها لسان هذا الحديث النبوي الذي جاء من طريق سعد بن أبي وقاص ، وإليك ذلك فيما يلي

فنقول : أثبت في كتاب « كشف الغمة » من مناقب ابن مردويه عن أبي ذر عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول : ان عليا (ع) مع الحق والحق معه لن يزولا حتى يردا علي الحوض (١)

وفيه منه عن أبي رافع أنه دخل على ام سلمة زوجة النبي (ص) فأخبرها بيوم الجمل فقالت : الى اين طار قلبك إذ طارت القلوب مطائرها (٢) قال : كنت يا أم المؤمنين مع علي بن ابي طالب (ع) قالت : احسنت واصبت ، اما اني سمعت رسول الله(ص) يقول : يرد علي (ع) الحوض ، وأشياعه ، والحق معهم لا يفارقونه

وفيه منه عن ابي رافع ان النبي (ص) قال : يا ابا رافع كيف انت وقوم يقاتلون عليا (ع) وهو على الحق وهم على الباطل ، يكون حقا في الله جهادهم ، فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم بلسانه ، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه وليس وراء ذلك شيء ، قلت ادع لي ان ادركتهم ان يعينني ويقويني على قتالهم ، فلما بايع الناس علي بن ابي طالب (ع) وخالفه معاوية وسار طلحة والزبير إلى البصرة قلت : هؤلاء القوم الذين قال فيهم رسول الله ﷺ ما قال ، فباع أرضه بخيبر وداره بالمدينة فتقوى بها (٣) هو وولده ثم خرج مع علي (ع) بجميع أهله وولده وكان معه حتى استشهد علي (ع) فرجع إلى المدينة مع الحسن (ع) ولا أرض له بالمدينة ولا دار فأقطعه الحسن (ع) أرضا بينبع من صدقة علي عليه السلام

---

(١) ويشير عبد الباقي العمري إلى هذا الحديث من قصيدته العينية في الإمام (ع) بقوله :

وأنت الحق يا أقضى الانام به غداً علي الحوض حقا تحشران معا

(٢) الاصح إلى مطائرها

(٣) الاصح بها

وأعطاه داراً

وفيه منه عن ام سلمة قالت : علي مع الحق ، من اتبعه اتبع الحق ومن تركه ترك الحق عهد معهود قبل موته (١) .

وفيه منه عن عائشة أن رسول الله (ص) قال : الحق مع علي وعلي مع الحق ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض .

وفيه منه عن أبي اليسر عن أبيه قال : كنا عند عائشة فقالت : من قتل الخوارج فقلت : قتلهم علي بن ابي طالب فقالت : كذبت فقلت : ما كان أغناني يا أم المؤمنين أن تكذبيني ، قال : فدخل مسروق فقالت : من قتل الخوارج فقال : قتلهم علي بن أبي طالب (ع) وذكروا ذا الثدية فقالت : ما يمنعني أن أقول الذي سمعت من رسول الله (ص) ، سمعته يقول : علي مع الحق والحق معه

وفيه منه ، لما أصيب زيد بن صوحان يوم الجمل أتاه علي (ع) وبه رمق فوقف عليه امير المؤمنين (ع) وهو لما به فقال (ع) : رحمك الله يازيد فوالله ما عرفتك إلا خفيف المؤنة كثير المعونة قال : فرفع إليه رأسه فقال : وأنت رحمك الله فوالله ماعرفتك إلا بالله عالما وبآيانه عارفا والله ما قاتلت معك من جهل ولكني سمعت حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : علي (ع) أمير البررة وقاتل الفجرة ، منصور من نصره ، مخذول من خذله ، ألا وإن الحق معه يتبعه ، ألا فميلوا معه

وفيه منه أن عائشة لما عقر جملها ودخلت داراً بالبصرة فقال لها اخوها محمد : انشدك بالله أتذكرين يوم حدثتني عن النبي (ص) انه قال : الحق لن يزال مع علي (ع) وعلي مع الحق لن يختلفا ولن يفترقا فقالت : نعم .

---

(١) أي قبل موت النبي ﷺ

وفيه منه عن ابي موسى الأشعري قال : اشهد ان الحق مع علي (ع) ولكن مالت الدنيا بأهلها ؛ ولقد سمعت النبي ﷺ يقول له : يا علي أنت مع الحق والحق بعدي معك

إنك ترى هذه الأخبار كيف ترمي بأجمعها إلى هدف واحد ، إلى حقيقة لها كيانها الأقدس وسموها الذي لا يرام

أجل إنها ترمي إلى أن علياً (ع) مع الحق والحق معه

إن منبع هذه الأخبار واحد وهو النبي محمد ﷺ ؛ والذي أنشئت فيه واحد وهو علي أمير المؤمنين (ع) ، ولكن طريقها متعدد ، فمنها ما جاء من طريق سعد بن أبي وقاص ، ومنها ما جاء من طريق أم سلمة ، ومنها ما جاء من طريق عائشة ، ومنها ما جاء من طريق أبي رافع ؛ ومنها ما جاء من طريق اليسر ، ومنها ما جاء من طريق أبي موسى الأشعري

لقد لمعت هذه الأخبار بأسرها عن تلك الحقيقة ، على نهج ما لمعت عنه سائر الأخبار النبوية الأخرى الناطقة بما اختص الله تعالى به عليا (ع) من الفضل والكرامة بما لا يكون أدناه لأكابر الصحابة ولا ينال اليسير منه اشراف المهاجرين والأنصار

ينادي النبي ﷺ أصحابه بتلك الحقيقة وينشرها بينهم صحيفة بيضاء لامعة حين يخاطب عليا (ع) بقوله : أنت مع الحق والحق معك

ولو أنك كنت وليد عصر البعثة المحمدية وترى الرسول ﷺ وهو يهتف بملء فمه بين أزواجه وأصحابه قائلا : علي مع الحق والحق معه ، لكنت ترى إذ ذاك نورين متلألأين في المدينة وأرجاء الحجاز نور الهيكل المحمدي ، ونور هذا الهتاف والتنويه باسم وصيه وأخيه علي (ع)

لقد أعلم النبي ﷺ بقوله هذا المسلمين عامة وصحابته وأزواجه خاصة بأن

علياً (ع) والحق اليقان لا يفترقان وجوهران متفقان لا ينفك أحدهما عن الآخر ما جرى الليل والنهار

وترى الرسول ﷺ ما اقتصر على إنشاء هذا الحديث في مجلس واحد بل قام به في مجالس متعددة حسب المناسبات والمقتضيات التي رآها بصيب فكرته وبليغ حكمته

فتارة يرى الرسول ﷺ يحدث بذلك الحديث زوجتيه أم سلمة وعائشة ، وذلك لتعملا به ولا تفارق كل منهما علياً (ع) أبداً ، يحدثهما به لتأتمرا من بعده بأمر علي (ع) وتنتهيا بنهيه ولا تحيدا عن ظله أبداً ولا تعاكسا له إرادة ما دامتا في قيد الحياة

وتارة يرى الرسول ﷺ يحدث به سعد بن أبي وقاص ليكون ملازماً لعلي (ع) ولا يفترق عنه عند حدوث الفتنة ونشوب النزاع بين علي (ع) وخصومه فلا يميل بسعد هواه إلى معاوية وغير معاوية

كما يرى النبي ﷺ يحدث بذلك الحديث أبا موسى الأشعري ليلزم خدمة علي (ع) ويخضع لإرادته ولا يميل به هواه إلى خلعه له (ع) في دومة الجندل

لقد سمع أبو موسى الاشعري قول النبي ﷺ لعلي (ع) : يا علي أنت مع الحق والحق بعدي معك » واسمعه الرسول إياه ليثبت أبو موسى علياً (ع) في الخلافة وينزع معاوية منها في ذلك اليوم ، لقد اسمعه الرسول ﷺ إياه ليؤدي أبو موسى في دومة الجندل هذه الامانة التي جعلها النبي ﷺ في عنقه ، فكان واجب تأدية الامانة يحتم على أبي موسى الاشعري أن يهتف بوم دومة الجندل بجموع أهل الشام والخوارج غير هايب لسيوفهم قائلا : يا أهل الشام ويا أهل الجباه السود استيقظوا وتنبهوا وارجعوا الى علي (ع) واخضعوا له وأطيعوا فإني سمعت رسول الله ﷺ

يقول له : يا علي أنت مع الحق والحق بعدي معك» فسلموا الأمر لعلي أمير المؤمنين (ع) ولا تعصوا له أمرا ... ولو أن أبا موسى الاشعري قام بهذا الإبلاغ في دومة الجندل في ذلك اليوم المقرر لحكم الحاكمين لكان خيراً له في دينه ودنياه، أما إذ قد خالف فله عقاب هذه المخالفة بلا ريب

كذلك النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد حدث بذلك الحديث الصحابيان الآخران، اليسر وأبا رافع ليكونا سعيدين باتباع علي (ع)، ولقد سعد أبو رافع وفاز بلذة الهجرة مع علي (ع) من المدينة إلى الكوفة وجاهد بين يديه جهاد العارفين المخلصين امتثالا لذلك الحديث الذي سمعه من رسول الله (ص) مشافهة حين قال له : يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون عليا (ع) وهو على الحق وهم على الباطل يكون حقا في الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فيجاهدهم بلسانه، فمن لم يستطع بلسانه فيجاهدهم بقلبه وليس وراء ذلك شيء، لقد علم أبو رافع أن سعادة الآخرة والفوز بنعيم الجنان إنما يكونان باتباع علي (ع) فتبعه ورتب على ذلك اثر الاتباع فباع ارضه بخيبر وداره بالمدينة وأنشأ هجرته الميمونة المباركة بأهله وولده مع أمير المؤمنين (ع) الى العراق، اما ابا موسى الأشعري فكان حاله بالعكس فرمى بذلك الحديث وراء ظهره وضرب به عرض الحائط وخلع عليا (ع) من الخلافة، فما أبين ما بين هذين الصحابيين ؛ أبي رافع، وأبي موسى الأشعري فهذا شقي وذاك سعيد

إن ذلك الحديث، حديث « علي مع الحق والحق معه » درة تتقد في الأرواح والنفوس، لقد نثره النبي صلى الله عليه وآله وسلم على أصحابه وزوجاته ليمشوا جميعاً الى جنب علي (ع) ولا ينازعوه في قول أو فعل ولا يخرجوا عليه بوجه أبداً حيث أنه (ع) مع الحق والحق معه، ويدل ذلك الحديث بدلالة الالتزام على إمرة صلى الله عليه وآله وسلم، المسلمين في عصره وفي كل عصر وزمن إلى آخر الدهر بالسير على ضوء ذلك الحديث، والاهتداء

بنور علي (ع) عند حدوث الشبهات ، والانضمام الى الفرقة التي فيها أمير المؤمنين (ع) فإنها الفرقة الناجية بلا ريب ... كيف لا تنجو الفرقة التي فيها أبو الحسن علي (ع) وهو مع الحق والحق معه ، انك يا أمير المؤمنين ما زلت خدين الحق والحق خدينك من حينما ولدتك امك في البيت الحرام ورأيت هذا الفضاء المتسع بعينيك ، وما زلت نصير الحق والحق نصيرك من حينما اعتمد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) عليك في الشدائد واتخذك مجنا له في النوائب عندما قابلته قريش بأنواع الأذى والضرر ؛ كذلك كان الحق يا أبا الحسن مطمئنا اليك وأنت مطمئن الى الحق لا يرى كل واحد منكما عن صاحبه بدلا من حينما أطبق النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جفنيه الى أن قمت وحدك بتغسيله وتكفينه وتحنيطه تعينك على ذلك ملائكة السماء ، الى أن تدلى (ص) في حفرته وحظي بنعيم الأبد ، يأنس بك الحق يا أخا الرسول وتأنس به لا ينفك أحدكما عن الآخر في كل لحظة من الزمن من حينما قمت تجمع القرآن وتؤلف بين سوره وآياته والناس في معرض عنكما ومعزل في تدبير أمر الخلافة وهي لك وفيك تجلت أنوارها من عالم الذر ، وهكذا تتبدل الأوضاع وتنقلب الأمور رأساً على عقب في جميع القرون بغلبة الشهوات والانقياد للأهواء فيبقى علي (ع) أخو الرسول وابن عمه جليس بيته وأليف وحدته قد انعزل عن ذلك الخلق لا باختيار منه ، إنا نعلم يا ابا الحسن بأن الحق معك في جميع هذه الأحوال وأنت معه ، تستريح اليه ويستريح اليك ، قد رضي كل منكما بصاحبه ، وبث كل منكما الآخر شجونه الموءلمة وأوضاع ذلك المجتمع التائه ، وإنما هناء الأبد والبشرى السعيدة لصاحب الحق ، هكذا أنزل الله تعالى في كتبه على انبيائه ورسله ، وبهذا حكمت دولة العدل والانصاف ؛ ان هذين ينصان معا بأن الحق مع ابي الحسن وابو الحسن مع الحق من قبل خلق السماوات والأرض

أجل لا يزال الحق مشرقا متلألأ لكنه بشخص علي (ع) وما توانى علي (ع) عن طلب هذا الحق لافي ليل ولافي نهار ، ولاترك (ع) حجة الا أدلى بها الى المهاجرين والانصار ؛ وتلك كتب السير والاخبار أمام عينيك تلمع عن صحة هذا وترى فيها الحق جليا في جنب علي (ع) كما ترى الشمس والقمر ، وما زال هذا الإمام الطهر ابو الحسن عليه السلام يطلب حقه في الحجاز والعراق بسيفه ولسانه ، ببأسه وبرهانه لأن الحق معه وله بنص الصادق الامين (ص) ياعلي أنت مع الحق والحق بعدي معك

وهكذا يسير امير المؤمنين علي عليه السلام في حروبه والحق معه يسير الى جانبه قد ظلل عليه بظلاله المسجدي المستنير ، واينما سار علي عليه السلام فالحق دليله ورائده ، أكان علي عليه السلام قاعداً فقعوده عن ضوء دليل الحق ، أم قائماً فعلى نوره الابلج قد قام

يبزغ الحق بنوره المتوقد فوق رأس علي عليه السلام يوم البصرة ويناديه بألسنة من شعاعه المستطيل : إقبل علي فإنك الظافر المؤيد والمنصور على الاعداء : إقبل ابا الحسن وطهر هذه البقعة من اولئك الخارجين عليك الذين رأوا الحق بأم العين فانحرفوا عنه واعتمدوا على الباطل فاتخذوه لهم إماما : إقبل علي فالله معك والرسول ﷺ يراك ويرعاك من أعلى الجنان ، وملائكة السماء تدعو لك بالغلبة والتأييد .

علي عليه السلام وأبو رافع يتحدثان في ميدان القتال يوم البصرة ويتناجيان الاسرار النبوية ، وما كان بأسرع من أن هتف ابو رافع قائلا : إنا يا أمير المؤمنين ما قاتلنا معك الا بعد أن كنا على بصيرة وهدى من هذه الحرب التي قد اثارها عليك طلحة والزبير بعد أن بايعاك بالمدينة على المنبر النبوي الشريف ، وقد علمنا يا امير المؤمنين ان الحق معك وانك انما تسير بسيرة رسول الله (ص) وانما تمشي على سنن

القرآن وتعاليمه .

و كيف ذلك يا ابا رافع فهل سمعت في امري أثراً من أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نعم لقد نوه الرسول (ص) باسمك غير مرة ، وابلغنا في أماكن عديدة جلالة قدرك وسمو عظمتك وأنك أولى الناس بالناس ، والاحق بهذا الامر من بين الصحابة .

إني أحمد الله تعالى يا ابا رافع على ثناء الرسول (ص) علي وذكر الله سبحانه وتقريبه لي من بين خواص النبي وحواريه .

ثم انتفض أبو رافع بفرح وابتهاج وأنشأ قائلا : وازيدك بيانا يا أمير المؤمنين إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لي : يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون عليا (ع) وهو على الحق وهم على الباطل ؛ يكون حقا في الله جهادهم » .

دمعت عينا علي (ع) حين سمع باسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال : أنت يا أبا رافع سمعت هذا من لسان أخي وحبيبي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

نعم لقد سمعته يا أمير المؤمنين بأذني هاتين ، وسمعت غيره كثيراً من غر فضائلك ومناقبك بما يعجز اللسان عن حصره وعده ؛ ثم انثنى أبو رافع قائلا ، و كله حسرات تتصاعد : اللهم ارزقني الشهادة بين يدي وليك أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (ع) .

إذا انت سعيد يا أبا رافع ، ولك رغد العيش في جوار الله تعالى بما أنت فيه من القلب السليم والمبدأ الحق ، أنت معنا يا أبا رافع في جنان النعيم ، لاترى النار يا أبا رافع ولاتراك بولائك لنا أهل البيت .

تدمع عينا ابي رافع فرحا وسروراً ، ويشرف محياه انسا بقول الامام علي (ع) ثم يقبل على علي (ع) قائلا له : بشرك الله تعالى بالخير ياامير المؤمنين ، ومثلك ياسيدي

من يبشر بالخير ، إنا موالوك وشيعتك سراً وجهراً ، لا نوالي شانئيك ابداً ، إناانصارك واعضادك والمتفانون في طاعتك يا امير المؤمنين .

جزاك الله تعالى عن أهل البيت خيراً يا أبا رافع ، ولا أراك مكروهاً أبداً ، وأحلك من جنانه أعلاها .

لقد كان أبو رافع سعيداً حين قاتل مع علي (ع) يوم البصرة بذلك السائق النبوي « يا أبا رافع كيف أنت وقوم يقاتلون علياً (ع) وهو على الحق وهم على الباطل يكون حقا في الله جهادهم »

كما قد أفلح وسعد زيد بن صوحان حين جاهد بين يدي الإمام أمير المؤمنين ع) في ذلك اليوم ، وحين سقط على الأرض في تلك المعركة القائمة بين الحق والباطل ، لقد أفلح زيد هذا حين عاين ملائكة السماء وقد تمثلت أمام عينيه تسطع بأنوارها الملكوتية وهي تحمل اليه من عند الله تعالى صحيفة مرسومة بقلم القدرة الإلهية فيها البشارة لزيد بسعادة الأبد ونعيم لا يفنى

ما أسعدك يازيد حين وقف عليك أمير المؤمنين يوم البصرة في ميدان القتال وأنت كلف بآلامك ؛ ، يقف عليك علي (ع) تلك الوقفة التي تمثل طيب مثواك وحسن منقلبك الأخير ، يقف علي (ع) عليك وأنت تجود بنفسك لما أصابك من ضرب وطعن ، لكنها الجنة يا زيد

كان زيد بن صوحان مغمىً عليه حين وقف عليه علي (ع) فأحس بنسيم رطب قد هب على جراحاته ، وأشعر بانتعاش قد عم أعضاءه ، وببرودة في فؤاده ، لم يدر زيد ما الحال ، ومن أين جاءه هذا ، وسوست لزيد نفسه ، واعترته فكرة قوية ، لقد علم زيد بأن هذه النفحات التي خففت آلامه إنما هي من فيوضات الولاء لعلي (ع ومن مهاب روحانيته المقدسة

أجل فما أشعر زيد بعد هذا إلا بصوت الإمام أمير المؤمنين (ع) قد ملأ أذنيه قائلا : رحمك الله يا زيد فو الله ما عرفتك إلا خفيف المؤونة كثير المعونة »

لقد أفلحت يازيد حين يقف عليك إمامك علي (ع) هذه الوقفة الحميدة ، فيطلب لك من الله تعالى الرحمة ، ويذكر من صفاتك السنية أبهاها ، وفزت والله فوزاً ماله من مثيل حين تكسب هذا الدعاء البار من علي (ع) وثناءه الجميل عليك ، هذا هو الشرف المؤبد يا زيد ، وعز الدنيا والآخرة

لقد رأى علي (ع) حين وقف على زيد بن صوحان منظراً فظيعا ، رآه وجراحاته تفور دما ، وأعضاءه قد احمرت بخضاب تلك الحرب لكنه خضاب من الدماء لا الحناء ، هو وأبيك خضاب المجد والعز والكرامة ، خضاب الشهادة الحقة والذكرى السعيدة خضاب حلية وزينة لذوي العقل والحجى في سبيل الدفاع عن الدين الحنيف في سبيل التنكيل بمن نكث البيعة وخرج على إمام زمانه عتواً و كبراً

أجل هو خضاب الجهاد في سبيل الله تعالى بين يدي وليه وناصر دينه علي بن أبي طالب (ع) يزداد ارتياح زيد بن صوحان حينما يرن في أذنيه ذلك الصوت البهيج ، صوت الإمام أمير المؤمنين (ع) وينشطه كأن لم يكن به ألم من ضرب وطعن ، فيرفع رأسه إلى علي (ع) وقد طفح محياه أنسا وسروراً ؛ ويخاطبه قائلا : وأنت رحمك الله فوالله ما عرفتك إلا بالله عالما وبآياته عارفا ؛ والله ما قاتلت معك من جهل ولكني سمعت حذيفة بن اليمان يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول : علي أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله ، ألا وإن الحق معه يتبعه ، ألا فميلوا معه »

لك الهناء يا زيد ، لك البشرى والسعادة يا زيد لك المقام الأسمى في الجنان يا زيد ، لك قرة العين يا زيد في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، إذ خضعت لقول

نبيك الأطهر ﷺ حين رتل آية من جوامع كلمه في أخيه علي (ع) ، ساعة هتف بأصحابه : علي أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله » فلقد نصرت يا زيد إمامك بلسانك وضحيت بين يديه بنفسك ، وأبن زيد بن صوحان من أبي موسى الأشعري ، فزيد بن صوحان يمسي شهيداً بين يدي علي (ع) يوم البصرة ويتلو فضائله بقلب ملوء الإيمان بها ؛ والولاء لأمير المؤمنين (ع) ، وأبو موسى الأشعري يقدم على خذلان علي (ع) بكل جرأة بلا تحرج ولا تأثم ، يقدم على خذلانه بيده ولسانه يوم قيامه وعمرو بن العاص بتنفيذه الحكومة في دومة الجندل ثم يفر أبو موسى هاربا على وجهه الى مكة ولم يعد الى الكوفة لئلا ينظر بوجه علي عليه السلام ، ولكن بعد أي شيء يفر ، بعد أن أوقع الفرقة بين المسلمين ، بعد أن قوى على علي (ع) عدوه الألد معاوية بن أبي سفيان ، بعد أن نطق بما فيه غضب الله ورسوله ، وذلك حين قال على الملأ من الجمهورين ، جمهور علي ، وجمهور معاوية ، المؤلف كل منهما من أربعمائة رجل ، قال : إني خلعت عليّاً (ع) ومعاوية فاستقبلوا أمركم » يخلع أبو موسى الأشعري عليا (ع) وقد سمع بنفسه وبلا واسطة من لسان الرسول ﷺ مشافهة قوله لعلي عليه السلام ياعلي أنت مع الحق والحق بعدي معك فلم يكترث أبو موسى بهذا القول النبوي الكريم و كأنما قد مر على أذنيه كالهواء السارح ، قاتل الله الكبر والأنفة ، قاتل الله هوى النفس وإباءها عن قبول الحق قاتل الله هذه كيف تميل بصاحبها عن اتباع الهدى وتنحرف به عن الخضوع لأوامر الشريعة ؛ كما قد مالت بأبي موسى الأشعري عن الخضوع لما سمعه مشافهة من الاخبار النبوية في فضل علي عليه السلام ، وانحرفت به إلى خذلانه والخروج عن طاعته ، أما زيد بن صوحان فإنما سمع من حذيفة بن اليمان قول الرسول ﷺ في علي عليه السلام : ألا وإن الحق معه ألا فميلوا معه » فسمع زيد هذا القول بالواسطة ولم يسمعه

منه ﷺ مشافهة وبلا واسطة ومع هذا فقد تمشى زيد بن صوحان على هذا المنهاج النبوي وقدسه ومثله أجل تمثيل حين بذل نفسه الثمينة في مرضاة الله تعالى يوم البصرة بين يدي علي عليه السلام

فاز المتمسكون بولائك ياأمير المؤمنين،وأفلح شيعتك الاحرار الذين أخلصوا لك المحبة والوداد .

وما اجدرني بأن اختم المقام بما نظمه الحميري من لآلي قريضه في مدح الامام امير المؤمنين (ع) حيث يقول .

احب الذي من مات من أهل وده ... تلقاه بالبشرى لدى الموت يضحك
ومن مات يهوى غيره من عدوه ... فليس له إلا إلى النار مسلك
ابا حسن تفديك نفسي واسرتي ... ومالي وما اصبحت في الارض املك
ابا حسن اني بفضلك عارف ... واني بحبل من هواك لممسك
وانت وصي المصطفى وابن عمه ... وانا نعادي مبغضيك ونترك
موالي ناج مؤ من بين الهدى ... وقاليك معروف الضلالة مشرك
ولاح(١) لحاني في علي وحزبه ... فقلت: لحاك الله ، إنك اعفك(٢)

الاحاديث النبوية من طريق ام سلمة في فضل علي (ع)

فضل ام سلمة وروايتها للحديث

وحيث قد اتينا في المبحث الآنف الذكر على بعض الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق ام سلمة في فضل علي (ع) المعلنة بأنه (ع) مع الحق والحق معه ، فيجدر بنا الآن ان نأتي في المقام على بقية ماوجدناه من الأحاديث النبوية الاخرى

---

(١) في مجمع البحرين ، لحيت الرجل الحاه لحيا إذا لمته وعذلته ، ولاحيته ملاحاة إذا نازعته وبيني وبينه ملاحاة أي منازعة من لاحاه اذا نازعه (٢) فيه ، رجل اعفك أي أحمق .

التي قد وصلت الينا من طريق هذه السيدة البارة في جلالة قدر الامام امير المؤمنين عليه السلام وعظيم ماله عند الله تعالى من علو الشأن فنقول: اليك اولا لمحة باختصار فيما هي فيه وعليه ام سلمة من الخير والصلاح والصدق والانقياد للحق ... إن ام سلمة من خيار امهات المؤمنين؛ واحدى زوجات النبي ﷺ الطاهرات، وهي ممن خضع لارادته ﷺ ولم يعص له امرا، بل هي سيدة امهات المؤمنين وافضلهن واتقاهن وابرهن بعد خديجه الكبرى سلام الله عليها؛ كانت ام سلمة تحمل عقلا وافراً، وفكرة عميقة، وبصيرة نافذه، اطاعت الرسول ﷺ باخلاص؛ وخدمته عن صدق وصفاء وطهارة؛ وكانت لدى الحقيقة اقرب ازواجه ﷺ اليه، واسماهن عنده منزلة واسرعهن تلبية لما يرضيه، إن جميع هذا يرى من أحوالها وأوضاعها مع النبي ﷺ وقد اثنى عليها الرسول (ص) غير مرة وخصوصا في حديث الكساء، ذلك الحديث النير الذي اثبت طهارة أهل البيت علي وابنائه الأنجاب صلوات الله عليهم أجمعين.

ويرى المطلع الخبير أن ام سلمة من اكابر المحدثات عن الرسول ﷺ ومن اجلاء وافاضل راويات احاديثه الزاهرة وخصوصا فيما روته لنا السيدة النبيلة عنه (ص) في فضل أخيه علي عليه السلام.

ولهذه السيدة الجليلة اليد الكبرى على الدين وأهله في مقام الدفاع عن قداسة هذا الإمام المعصوم، كانت رضي الله عنها بدافع الإيمان وإيثاراً للحق غير مبالية بعذل عاذل أو لوم لائم فتقف وتعطي علياً عليه السلام حقه من المدح والثناء والسيادة على سائر الصحابة

كما كانت عند حدوث أي شبهة في علي عليه السلام أو اعتراض عليه في عمل يبدو على محياها التأثر والانفعال ولكنها وأبيك لم تكن ممن يلزم ناحية الصمت أو يعجز عن رفع الشبهة والاعتراض بل كانت رضي الله عنها تنهض منيعة بعقلها،

حصينة بعلمها ، نشيطة بايمانها وتبرز الحق جلياً وتوقف الخصم عليه مثبتة بذلك تبرير أعمال علي عليه السلام وأفعاله بما لا يبقى عند ذلك مقال لقائل

إن أم سلمة ذات علم وفضل وروية ، ذات ورع واحتياط ؛ انها من المحافظات على نقل الحديث النبوي بلفظه ، واللواتي لم تؤثر عليهن حمية الجاهلية ولا عصبية الأهل والقومية والعشيرة ، ولم تكتم حديثا نبويا في مقام إظهار الحقيقة ، كما لم تكن لتخفي شيئا من أحاديث صاحب الرسالة في مقام إبراز الفضيلة ورفع الجهالة خصوصا عندما تقوم هذه السيدة للتنويه باسم علي عليه السلام ونثر ما تلقته فيه من الرسول ﷺ من سر وحديث يشعان عن سمو علي على الكوكب الدري المتلألئ

وكم لهذه السيدة الفاضلة من موقف باهر أدلت عنده بالحجة والبرهان على أن عليا عليه السلام كان معتمد الرسول ﷺ ، وخليفته من بعده ، وصاحب سره ونجواه ، ووزيره المطلق في جميع الأمور ، ونائبه الخاص في سائر الاحوال

إن أم سلمة من أفاضل النساء المؤمنات اللاتي عرفن فضل علي عليه السلام على جميع الصحابة وقدسنه واحترمن شخصيته ، وجعلن ذكر فضائله عليه السلام عبادة ، وتلاوتها عبادة ، واستماعها عبادة ، والنظر فيها عبادة .

أجل لقد رأت أم سلمة أن في كتمان اي فضيلة من فضائل علي عليه السلام غمطا للحقيقة ، وظلما للفضيلة ، وعصيانا للرسول ﷺ ، بل علمت من وراء ذلك الكتمان عذاب الله تعالى وسخطه الدائم

فأم سلمة امرأة علمت ، وما اكثر العالمين والعالمات ، ولكنها عملت ، وما اقل العاملين والعاملات ، وبعملها وزيادة عرفانها وإجلالها لعلي عليه السلام كان لها الفوز على زوجات النبي (ص) بمزيد قربها منه واعزازه عنده باستثناء خديجة سلام الله عليها

وها إني ازف اليك في المقام ما نقلته لنا ام سلمة من غرر الاحاديث النبوية في

جلالة قدر علي عليه السلام وسمو منزلته عند الله ورسوله

الحديث الاول من احاديث أم سلمة

فمنها ما اوردته في مقام الدفاع عن قداسة هذا الإمام الطهر ، معللة بأن جميع ما قام عليه السلام به من اعمال إنما كان بأمر النبي ﷺ والنبي لا يأمر إلا بما كان به خير الامة وصلاحها في العاجل والآجل ، وذلك كما اثبته في كتاب « كشف الغمة » نقلا من امالي الطوسي قال : بلغ ام سلمة ان عبداً لها يتنقص عليا عليه السلام ويتناوله فأحضرته وقالت : يابني سمعت عنك كذا و كذا فقال » نعم فقالت اجلس ثكلتك امك حتى احدثك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ثم اختر لنفسك ، إنه كانت لبلتي ويومي من رسول الله ﷺ فأتيت الباب فقلت : ادخل يا رسول الله ، فقال ﷺ » لا ؛ فكبوت (١) كبوة شديدة مخافة ان يكون ردني من سخطة او نزل فيّ شيء من السماء ، ثم جئت ثانية فجرى ما جرى في الاولى فأتيت الثالثة فأذن (ص) لي ، فقال : ادخلي فدخلت ، وعلي عليه السلام جاث بين يديه وهو يقول : فداك ابي وامي يا رسول الله اذا كان كذا و كذا فما تأمرني قال (ص) : آمرك بالصبر ؛ فأعاد عليه السلام القول ثانية وهو (ص) يأمره بالصبر ، فأعاد عليه السلام الثالثة ، فقال (ص) : يا علي اذا كان ذلك منهم فسل سيفك وضعه على عاتقك واضرب قدُما قدُما (٢) حتى تلقاني وسيفك شاهر يقطر من دمائهم ، ثم التفت (ص) إلي فقال : ما هذه الكآبة يا ام سلمة ، قلت : لما كان من ردك إياي يارسول الله ، فقال (ص) : والله مارددتك عن موجدة وانك لعلى خير من الله ورسوله ولكن أتيتني وجبرائيل عن يميني ، وعلي عليه السلام عن يساري ، وجبرائيل يخبرني

---

(١) في مجمع البحرين ، كبا لوجهه يكبو كبواً سقط فهو كاب (٢) فيه ، ومعنى قدما بضم الدال لم يعرج ولم يثنوا ومضوا قدما أي مضوا ولم يعرجوا على شيء و كانوا على الطريقة المستقيمة

بالأحداث التي تكون بعدي وأمرني أن أوصي بذلك عليا (ع) ، يا أم سلمة اسمعي واشهدي هذا علي بن أبي طالب (ع) أخي في الدنيا والآخرة ، يا أم سلمة ، اسمعي واشهدي، هذا علي بن أبي طالب وزيري في الدنيا ووزيري في الآخرة ، يا أم سلمة ، اسمعي واشهدي ، هذا علي بن أبي طالب حامل لوائي في الدنيا والآخرة ، يا أم سلمة ، اسمعي واشهدي ، هذا علي بن ابي طالب وصيي وخليفتي من بعدي وقاضي عداتي والذائد عن حوضي، يا أم سلمة؛ اسمعي واشهدي هذا علي بن ابي طالب سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين وقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ، قلت : يا رسول الله من الناكثون ، قال ﷺ الذين يبايعونه بالمدينة وينكثون بالبصرة ، قلت : من القاسطون ، قال ﷺ معاوية وأصحابه من أهل الشام ، قلت : من المارقون، قال (ﷺ) : أصحاب النهروان ، فقال مولى أم سلمة : فرجت عني فرج الله عنك والله لا سببت عليا (ع) أبداً

فلقد أشارت أم سلمة بهذا الدفاع إلى حقيقة طالما أوقع الجهل بها كثيراً من الناس في الشك والارتياب ، أشارت إلى صحة قيام علي (ع) بهاتيك الحروب الثلاث يوم البصرة ، وصفين ، والنهروان ، وان هذا القيام إنما كان بأمر الرسول ﷺ الذي يمثل لم شعث المجتمع الإسلامي ، وخيره وسداده .

ينقم الجاهلون بمنزلة الإمام أمير المؤمنين (ع) بنقمون عليه إراقة دماء الوف أو عشرات الألوف من المسلمين في تلك الوقائع الثلاث ؛ يا لله فما أعمى أبصارهم وأصم أسماعهم عن وعي الحقيقة والنظر في أحوال الصحابة ومراتبهم نظرة عدل وإنصاف ؛ أوما علموا أن عليا (ع) في هذه الحروب الثلاث إنما يمثل شخص الرسول ﷺ بروحه ، وعلمه ، وعرفانه ، وبأسه ، وتقاه ، أوما علموا ان قيام علي (ع) بها إنما هو على نهج قيام النبي ﷺ بها لو كان حيا ، وعلى حد قيامه ﷺ بجهاد المشركين يوم بدر وأحد وحنين ، ثم قتل من اصحاب علي (ع) يوم البصرة وصفين

والنهروان فهو شهيد إلى الجنة ، ومن قتل من أعدائه (ع) فيها فهو إلى النار بلا ريب

كما قد أشارت أم سلمة في هذا الدفاع نفسه إلى السر في قعوده (ع) تلك المدة الطويلة التي لو كان (ع) قد استقل بالأمر فيها والتف حوله الصحابة لكان الإسلام أوسع نطاقاً مما نراه اليوم أضعافا مضاعفة ، وأتم وأكمل بمناظره ومبانيه ونفوذه، وأشد إحكاما بأصوله ومبادئه ، ولم يكن لأجنبي يد على الإسلام ، ولا قوة ولا سلطان ، ولا استعمار ولا استعباد

والسر الذي أشارت اليه أم سلمة إنما هو أمر النبي ﷺ لعلي (ع) بالقعود

ان امتثال أمر النبي ﷺ في مثل هذا المقام الخطر بنجم بلا ريب عن فلاح الإسلام ؛ وانتعاش قواه ، وبقائه بالجملة محفوظاً من الانهيار ، والناس بلا ريب حديثو عهد بالإسلام ، وللعادات الجاهليه بعد أثر في النفوس ، والنفوس بعد في طموح اليها وعلاقات الإلفة بينها لم ترتفع ، وعلى سبيل الإجمال إلى النفوس كانت بعد موت الرسول ﷺ تواقة بشغف ورغبة للعود الى تلك الحرية الجاهلية والتحرر من التكاليف الشرعية ، فكيف يقوم إذاً علي عليه السلام إثر وفاة النبي ﷺ والحال هذا

بل يسوغ لنا القول بأن عليا (ع) ما كان ليقوم في ذلك الوقت الذي ثارت فيه الفتن ، والنبي ﷺ بعد ملقى على فراشه ، وإن لم يأمره الرسول بالقعود أو يوص اليه بالكف والسكوت فإن عليا (ع) حكيم عليم ينظر الى الإسلام والى حفظ بيضته وكيانه كما كان ينظر اليه الرسول ﷺ من هذا الوجه ، ولذا كان علي (ع) يمشي مع المشايخ الثلاثة جنبا لجنب ، لا يفارقهم ولا يفارقونه ، يدافع (ع) عنهم وعن الإسلام بكل ما عنده من علم ورأي وقوة في الداخل والخارج ، هذا بالرغم من تصريحه (ع) كثيراً في خطبه ومواقفه بأن الحق في جانبه وانه اولى بالأمر من

جميع الصحابة ، مدعما ذلك بالحجج والبراهين (١)

الحديث الثاني من احاديث ام سلمة

وثاني الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع) روايتها لقوله (ص) : علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وانما أتت أم سلمة بهذا الحديث في مقام استصوابها لجهاد ثابت مولى أبي ذر مع علي (ع) يوم البصرة ، وذلك كما أثبته في كتاب « كشف الغمة » والظاهر انه نقل من أمالي الطوسي » عن ثابت مولى أبي ذر رحمه الله قال : شهدت مع علي بن ابي طالب (ع) يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلني من الشك بعض ما يدخل الناس فلما زالت الشمس كشف الله ذلك عني فقاتلت مع أمير المؤمنين (ع) ثم أتيت بعد ذلك ام سلمة زوج النبي (ص) ورضي عنها فقصصت عليها قصتي فقالت : كيف صنعت حيث طارت القلوب مطائرها ، قال : قلت الى احسن ذلك والحمد لله كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس فقاتلت مع امير المؤمنين (ع) قتالا شديداً ، فقالت : احسنت ، سمعت رسول الله (ص) يقول : علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

فترى أم سلمة في المقام كيف قد قررت جهاد ثابت مولى أبي ذر بين يدي علي (ع) يوم فتنة طلحة والزبير في البصرة ، وأعلمته بأن جهاده جهاد حق مع امام حق لا يفارق القرآن والسنة ولا يفارقانه ، يسير مع العدل اينما سار ، ويمثل الفضيلة والأخلاق النبوية حتى ولئن شبت الحرب لظاها

لقد تطورت حال ثابت وتقلب في احوال ثلاثة ، فلقد كان ثابت اولا على

---

(١) سيأتي ان شاء الله تعالى مزيد بيان للامرين معا اللذين اشارت اليهما ام سلمة في الدفاع المذكور عند الكلام على مواقف ابن عباس للدفاع عن قداسة الامام امير المؤمنين (ع)

يقين بأنه انما يجاهد بين يدي إمام مفترض الطاعة ، لا يجوز مخالفته ، ولا التقدم عليه ولا التأخر عنه ، وعلى هذا المبدأ الصحيح بنى ثابت مسيره مع علي (ع) الى البصرة وبهذا المبدأ الحق كان ثابت يدين الله تعالى من لدن خرج من بيته الى ان وقفت به رجلاه في ميدان القتال يوم الجمل ، واذا نظرنا نظرا الى ثابت في هذا الحال من تطوراته فإنما كان ينظر الى رجل قد تفانى في جنب علي (ع) كان ثابت لا يرى في هذا الحال اماما يجب تنفيذ اوامره ونواهيه غير علي (ع) لا يرى من له منصب الخلافة غير علي لا يرى زعيما دينيا روحانيا غير علي ، لا يرى لأحد بيعة لازمة في عنقه غير بيعة علي (ع) ولكن للمظاهر الدينية اثرها الفعال في النفوس : فما اقواه على ايجاد التغير والانقلاب من حال الى حال ، من اليقين الى الشك ومن الشك الى اليقين ، فلم تدع تلك المظاهر حال ثابت مستقراً على ذلك المبدأ الصحيح ، مبدأ الولاء والاخلاص لعلي (ع) بل اخذت تلعب به دورها الذي قد اعتادت ان تقوم بتمثيله في كل عصر وزمن ، فتمثلت تلك المظاهر أمام عيني ثابت يوم البصرة وبدأت تستهويه اليها وتجذبه بمغناطيسها المموه لأن يكون معها في عداد من يحارب عليا (ع) ويقاتله ، فبينما كان نور ذلك المبدأ الصحيح ساريا في شخص ثابت ، متلألأ في سائر جوارحه وقواه ، واذا بثابت يرى هذا النور قد شرع به التضاؤل ، ودب فيه الاضمحلال شيئا فشيئا ، فلم يشعر ثابت بنفسه الا وهو في شك من امر علي عليه السلام ، في شك من ذلك المبدأ الحق ، مبدأ الولاء لأمير المؤمنين

ومتى سرى هذا الشك في نفس ثابت

اجل لقد سرى في نفسه حينما نظر الى عائشة واقفة في معركة القتال ، نظر اليها وقد احاطه بهودجها بنو ضبة

لقد شاهد ثابت في هذا الحال شكلا مرعبا ، ونظر إلى هيئة تدل على منتهى

التفاني والتضحية ؛ وذلك حين رأى بني ضبة قد ضللوا برماحهم فوق ذلك الخدر ، وأعلموا بسيوفهم لامعة ببريقها فوق ذلك الهودج المصفح الـذي يقل أم المؤمنين عائشة ، ورأى طلحة والزبير وجموعاً كثيرة قد اكتنفوها وهم يأتمرون بأمرها وينتهون بنهيها ؛ وفي هذا الحال سرى الشك في نفس ثابت ، إذ انه قد رأى شخصـه بين خطرين عظيمين ، خطر الإمام علي بن أبي طالب (ع) ؛ وخطر عائشة أم المؤمنين وخدر الرسول ﷺ

لقد رأى ثابت نفسه بارتباك شديد ، وانه قد وقع في عويصة ليس من السهل حلها ، إذ أنه ينظر إلى علي عليه السلام فيرى فيه ما يوجب اتباعه ، وينظر إلى عائشة فيرى فيها كذلك

وكيف ذلك

أجل ، إن ثابتاً كان إذا نظر إلى علي (ع) فإنما كان يرى أخا الرسول ﷺ وزوج ابنته الزهراء (ع) ، وأبا سبطيه ، كان يراه علي (ع) بأنه أعلم الصحابـة ، وأفضلهم ، وأزهدهم ، وأورعهم ، وأتقاهم ؛ وأبصرهم بالأمور ، وأعرفهم بالقرآن والسنة وبما في كتب الأوائل والأواخر ؛ وأشدهم احتياطاً بأموال المسلمين من الغنائم وغيرها ، كان يراه (ع) بأنه وحده محل عناية الرسول ﷺ في حياته وبعد وفاته وصاحب رايته وحامل لوائه في جميع الغزوات ، يراه بأنه (ع) قد جمع الفضائل الغر واستقل بها وحده وفقدها سائر الصحابة ، فكان ثابت إذا نظر إلى عـلي (ع) يوم البصرة ، فإنما كان يتمثل أمامه هذه الأوصاف الحميدة ، فكيف إذاً يكون (ع) على باطل من هذه الحرب حرب البصرة ، ثم ينظر ثابت في الوقت نفسه إلى عائشة فيراها أنها قد جمعت اوصافا تستوجب إمالته إليها وانضمامه إلى عسكرها وان يكتنف بما اكتنف به بنو ضبة وطلحة والزبير وبقية هاتيك الجموع

أجل ، يراها انها زوجة النبي ﷺ والعزيزة عنده ، ومن أمهات المؤمنين ، يراها وهي تلك المرأة التي قد حملت أربعين الف حديث ، فكيف إذاً تكون على باطل من هذه الحرب والحال هذا

فكان ثابت بين هذين الخطرين في حيرة وارتباك

إن الشك في علي (ع) كفر بالله تعالى وبه الخسران الابدي والعذاب الذي لا يفنى ، ولكن الله تعالى ما كان ليضل ثابتا ويبقيه في هذا الشك ، وذلك فإن الله تبارك وتقدس قد علم صفاء نفس ثابت ، وطهارة قلبه ، وعدم انطوائه على الغش والغدر والخيانة ؛ لقد علم الله تعالى أن دخول الشك على ثابت لم يكن باختياره بل إنما دخله بالقهر عنه لما أن رأى نفسه بين هذين الخطرين

لقد ارتبك ثابت وأظلمت الأرض بوجهه عندما رأى نفسه في ذلك الشك والتردد .

لم يكن عند ثابت وسيلة تكشف له عن الحق وانه في أي الجانبين ، جانب علي عليه السلام أم جانب عائشة إلا التوجه إلى الله تعالى

توجه ثابت إلى ربه سبحانه ، وأخلص له النية ، وأخذ يتضرع اليه ويطلب منه الدلالة على الحق بأي نحو كان ، بإلهام ، او بظهور آية و كرامة

لقد علم الله تعالى هذا كله من ثابت ، ورآه في ذلك الموقف الحرج ، يوم البصرة

بشراك يا ثابت ، لقد جاءك الفرج يا ثابت ، تلك رحمة الله قد شملتك يا ثابت تلك عناية الله سبحانه شرعت تلحظك وتحوطك يا ثابت ، ما كان الله تعالى ليدعك يا ثابت في ذلك الشك المردي وأنت سليم القلب

أجل لقد رأى ثابت آية الحق وبرهانه يتلألآن في جبين علي (ع) ويتجليان

معه يوم البصرة قام أو قعد

رأى ثابت شعاع القرآن وضوءه يتقدان بين يدي علي عليه السلام في هذا اليوم الرهيب

لقد علم عندئذ ثابت بأن الحق مع علي عليه السلام يمثله ويدور معه في جميع احواله ، وأن الجهاد بين يدي هذا الإمام واجب ، وان التأخر عنه عليه السلام جريمة موبقة

آب إلى ثابت ذلك النور ، نور الولاء لعلي أمير المؤمنين ، واستنارت به مشاعره وقواه وسائر جوارحه واعضائه ، وهذا هو الحال الثالث الذي ثبت عليه ثابت مولى ابي ذر ، وعلم عنده ان الغير لعلي (ع) ظالم

ولما أن يرى الإنسان الحق ، وهو بريء من الكبر والعصبية والأنانية ، غير منقاد للهوى ، ولا متفانيا بحب الإمرة والزعامة ، فإنه لا محالة يخضع عندئذ لناموس ذلك ، وينقاد لسلطانه العدل المستقيم ، ويوجب على نفسه الاهتداء بدلالاته النيرة إلى منتهى العمر

لذا إن ثابتا مولى أبي ذر لما أن تجلى له الحق يوم البصرة ؛ وشاهد بعينيه أنواره تشع في محيا علي (ع) وشخصه ، اندفع عندئذ ثابت اندفاع المجاهد المستميت بقلب أشد من زبر الحديد فقاتل بين يدي علي (ع) قتالا ييأس معه الأبطال من الحياة .

انتهت وقعة الجمل ، والنصر فيها حليف أمير المؤمنين علي (ع) ورجع ثابت إلى المدينة سالما بنفسه ، فرحا بما اوتي إمامه أبو الحسن من الغلبة والظفر ، فائزاً بما فاز به الشهداء بين يدي علي (ع) من الأجر والثواب

وما ان استقرت بثابت رجلاه وأراح بدنه من وعثاء السفر حتى دخل على السيدة الجليلة ام سلمة وقص عليها قصته وحدثها بما قد جرى عليه يوم البصرة ؛ لما اصطف

الفريقان ، وتهيأ الجيشان للحرب ، وألمع لها عن الشك الذي دخله لما رأى عائشة واقفة قد احدقت بها بنو ضبة بكامل العدة والعدد ، وفي القلب والجانبين طلحة والزبير يعدلان صفوف ما قد تبعها من تلك الجموع

لقد امتعضت ام سلمة من كلامه هذا ، وتأثرت إلى الغاية ، ولم يكن لديها إلا الاسترجاع وقول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ، ثم اشرق محياها ابتهاجا عندما قال لها ثابت : كشف الله ذلك عني عند زوال الشمس فقاتلت مع امير المؤمنين عليه السلام قتالا شديداً ، ثم توجهت ام سلمة الى ثابت ، وكلها انس وارتياح ، توجهت اليه لتتحفه ببعض الاحاديث التي سمعتها من الرسول ﷺ في فضل علي (ع) أجل هي تلك ام سلمة ، الصادقة ، المحدثة ، المتقربة إلى النبي ﷺ بالولاء والاخلاص لأهل بيته علي وابنائه عليهم السلام ، فتقبل هذه السيدة النبيلة على ثابت ويصغي ثابت إلى كلامها بجميع حواسه ، فتملأ اذنيه بقولها : احسنت بقتالك مع امير المؤمنين ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : علي مع القرآن والقرآن معه لا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

لقد أنارت ام سلمة بهذا الحديث قلب ثابت ، وزادته بصيرة في علي (ع) ونهض ثابت من عندها منصرفا الى منزله ، شاكراً لها هذه اليد البيضاء التي قد اسدتها اليه ، وما زال ثابت يحمد الله تعالى ويشكره على ان الهمه ولاء الإمام علي بن ابي طالب (ع) ويذكر ذلك الحديث النبوي الكريم الذي اتحفته به ام سلمة ويترنم به في حضره وسفره وبين اهله وخلانه واينما حل

الحديث الثالث من أحاديث ام سلمة

ثم اعلم بأن قوله ﷺ : علي مع القرآن والقرآن معه ، قد ورد ايضا من طريق ام سلمة لكن بكيفية اخرى من البيان ، وذلك كما اثبته في كتاب « كشف

الغمة » عن أبي ثابت مولى أبي ذر رحمه الله قال : سمعت أم سلمة رضي الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي قُبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه : أيها الناس يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت اليكم القول معذرة اليكم ، ألا وإني مخلف فيكم كتاب الله ربي عز وجل ؛ وعترتي أهل بيتي ؛ ثم أخذ ﷺ بيد علي (ع) فرفعها فقال هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي خليفتان نصيران لا يفترقان حتى يردا علي الحوض فأسألهما ماذا خلفت فيهما (١)

فهذا أحد مناهج النبي ﷺ التي كان يتمشى عليها في مقام التنويه باسم أخيه علي (ع) والارجاع اليه من بعده غير ناظر ﷺ في آخر عمره إلى شيء سوى القيام بهذه المهمة التي تعقب بلا ريب نجاح الإسلام وعلوه ، وسعادة المسلمين في الدارين

لقد كان النبي ﷺ حريصا الى الغاية على حث الصحابة جميعا لأن يكونوا تبعا لعلي (ع) بعد وفاته ، لأن يتمشوا على طاعته ؛ ولا يتعدوا ارادته الى سواها ، ولا يخرجوا عن تعاليمه مهما كلف الامر ، ولا يتفرقوا عنه أبداً .

فما كان أشد حرص النبي ﷺ على هذه الناحية الروحية حتى في ساعات مرضه الذي قد قُبض ﷺ فيه وعند اعتوار الآلام له وفي حال كان الكلام يصعب عليه فيه وخصوصا في مثل ذلك المجتمع الحاشد من اصحابه الذي يحتاج معه الى رفع الصوت وارتكاب الجهد في البيان ؛ فكان النبي ﷺ بالرغم من آلام مرضه ومن المشقة التي يجدها في الكلام يقوم بشيراً ونذيراً في ذلك المجتمع الوافر من اصحابه لإعلاء شأن أخيه علي عليه السلام وإعلامهم بأن هيبة الإسلام وقوة

---

(١) وليكن هذا هو الحديث الثالث من هاتيك الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع)

سلطانه وانارة انحاء المعمورة بتعاليمه المقدسة انما تدور «هذه كلها» على قطبها الاساسي علي بن ابي طالب عليه السلام

فعلي بن ابي طالب عليه السلام هو الذي يظهر فضل الاسلام وشرفه على سائر الاديان ، هو الذي ينير الكون بروح الاسلام ، هو الذي يفهم امم الارض بأن محاسن الإسلام وجمال تعاليمه وتكلفه لسعادة البشر في العاجل والآجل يفوق جميع الشرائع ، وان الشرائع الإلهية كلها مندمجة في ضمن نطاق الاسلام ، وانها انما تستقي العلم والعرفان من المعهد الاسلامي ، وعلي عليه السلام هو الذي يعلم من في المشرق والمغرب ان في رسالة الاسلام ووحيه السماوي ما ليس في بقية الشرائع السماوية من تعاليم واخلاق وانباء وفنون توافق كل عصر وزمن ، ويصل اليها المفكرون في قرون خاصة واجيال تأتي فيما بعد

فلا يوقف البشر على هذه المعلومات ولا ينبئهم عنها بفصيح الكلام الا الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام اما غير امير المؤمنين عليه السلام فهو اقصر باعا من ان يدرك ذرة منها

لقد علم النبي ﷺ بأن اخاه عليا عليه السلام اكفى الصحابة بكل ما يحتاج اليه العباد من رفع مشاكل المعاش والمعاد ، فعلي عليه السلام يسلك بهم الطريق الجدد ويوردهم على منهل عذب زلال من مناهل علمه الغزير المتدفق ويطعمهم لو كانوا قد تبعوه من فوقهم ومن تحت ارجلهم ولتوصلوا وأيم الحق الى كنوز لم يروها وفتحوا ممالك قاصية لم تكن بحسبانهم

لقد علم النبي ﷺ بأن الخير كله في اتباع القرآن ، في تعظيم سوره وآياته في تقديس ما جاء به من نواميس السعادة ومواد القصاص الحيوية ، في الائتمار بما امر به من صوم وصلاة وحج وزكاة وجهاد في سبيل الله ، والانتهاء عما نهى عنه من خمر

وميسر وفاحشة ، وربا وكذب وسرقة ، لكن النبي (ص) قد علم بأنه لا يبرز لباب القرآن ولا يستخرج حقائقه واسراره ولا يقف على اصوله كما هي ولا يعلم تنزيله وتأويله وناسخه ومنسوخه وعامه وخاصه الا علي عليه السلام

لذا ترى النبي (ص) صرح معلنا في منتهى اوقات حياته وفي تلك الساعة الحرجة من مرضه ، والحجرة مملوءة بأصحابه المهاجرين والانصار ، بقوله : علي مع القرآن والقرآن مع علي » فأنبأ النبي (ص) بهذا النحو من تنويهاته العليا بأن البشر لايكون سعيدا بالقرآن الا اذا اخذ به من طريق علي بن ابي طالب عليه السلام ، فالقرآن لا يعرف احداً ما لم يعرف عليا ، ولا يشهد لأحد بالعمل به في عرصات السؤال والجواب مالم يكن من علي عليه السلام على هدى وبصيرة

فالقرآن إنما يقدس عليا (ع) وحزبه ، ألا إن حزب علي لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، في جنات النعيم ، هم فيها خالدون

﴿الحديث الرابع والخامس والسادس من أحاديث أم سلمة﴾

وأزف اليك في المقام أيضا أحاديث ثلاثة أخرى ، هي من لآلىء وشذرات الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع)

وهي قوله ﷺ الأول فيه (ع) أما انه لا يبغضه إلا منافق كذاب

وقوله ﷺ الثاني فيه (ع) : ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل

وقوله ﷺ الثالث فيه (ع) : فما يبغضه أحد من أهلي ولا من أمتي إلا خرج من الإيمان

لقد أوردت أم سلمة هذه الاحاديث الثلاثة حينما أتت لعندها عائشة تطلب منها الخروج معها إلى البصرة

وكيف كان ذلك

أجل لقد أثبت هذه الأحاديث الثلاثة ، العلامة المجلسي في كتابه «درر البحار» أثبت الأولين منها نقلا من كتاب « الاحتجاج » للطبرسي عن عبدالرحمن بن مسعود الثقفي قال : كنت بمكة مع عبد الله بن الزبير وطلحة والزبير فأرسلا إلى عبد الله ابن الزبير وأنا معه فقالا له : إن عثمان قتل مظلوما وإنا نخاف أن ينقض أمر أمة محمد ﷺ فإن رأت عائشة أن تخرج معنا لعل الله أن يرتق بها فتقا ويشعب بها صدعا قال : فخرجنا نمشي حتى انتهينا اليها فدخل عبد الله بن الزبير معها في سترها وأنا على الباب فأبلغها ما أرسلا ، فقالت : سبحان الله والله ما أمرت بالخروج وما بحضرتي أحد من أمهات المؤمنين إلا أم سلمة فإن خرجت خرجت معها فرجع اليهما فبلغهما ذلك ، فقالا : ارجع اليها فلتأتها فهي أثقل عليها منا فرجع اليها فبلغها فأقبلت حتى دخلت على ام سلمة فقالت لها ام سلمة : مرحبا بعائشة والله ما كنت لي بزوارة فما بدا لك قالت : قدم طلحة والزبير فخبرا ان أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما،ثم ذكر العلامة المجلسي كلاما جرى من ام سلمة مع عائشة تحذرها به من تلبية طلحة والزبير ثم اورد احتجاج ام سلمة عليها بالحديثين الاولين ناهية لها عن الخروج فقالت ام سلمة: ونشدتك بالله يا عائشة أتذكرين ليلة اسري بنا مع رسول الله ﷺ من مكان كذا و كذا وهو بيني وبين علي بن ابي طالب (ع) يحدثنا فأدخلت جملك فحال بينه وبين علي بن ابي طالب (ع) فرفع (ص) مقرعة كانت عنده يضرب بها وجه جملك والله ما يومه منك بواحد ، ولا بليته منك بواحدة ، اما انه لا يبغضه الا منافق كذاب (١) ، ونشدتك بالله أتذكرين مرض رسول الله (ص) الذي قبض فيه فأتاه ابوك يعوده ومعه عمر وقد كان علي بن ابي طالب (ع) يتعاهد ثوب رسول الله (ص)

---

(١) هذا هو الحديث الاول من الحديثين وفي معناه وقريب منه لفظا احاديث كثيرة من طرق الطرفين

ونعله وخفه ويصلح ما وهى منها فدخل قبل ذلك فأخذ نعل رسول الله (ص) وهي حضرمية وهو يخصفها خلف البيت فاستأذنا عليه (ص) فأذن لهما فقالا : يا رسول الله كيف اصبحت ، فقال (ص) : اصبحت احمد الله ، قالا: ما بد من الموت ، قال(ص) اجل لا بد منه ، قالا : يا رسول الله فهل استخلفت احداً ، قال (ص) : ما خليفتي فيكم الا خاصف النعل ، فخرجا فمرا على علي بن ابي طالب (ع) وهو يخصف نعل رسول الله (ص) (١) وكل ذلك تعرفينه يا عائشة وتشهدين عليه ، ثم قالت ام سلمة : يا عائشة انا اخرج على علي (ع) بعد الذي سمعت من رسول الله(ص)فرجعت عائشة الى منزلها وقالت : يا ابن الزبير ابلغها اني لست بخارجة بعد الذي سمعت من ام سلمة فرجع فبلغها، قال : فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء ابلها ترتحل فارتحلت معها

واما الحديث الثالث فقد اثبته نقلا من الاختصاص عن يزيد بن رومان فذكر اولا مجيء عائشة لعند ام سلمة تستدعيها للخروج معها الى البصرة ثم ذكر نصائح ام سلمة لها لعدم الخروج من بيتها الذي قد امرها الله تعالى ان تقر فيه ، قال بعد ان ذكر هذا كله : قالت ام سلمة : لو ذكرتك من رسول الله (ص) خمسا في علي لنهشتني نهش الحية الرقشاء المطرقة ذات الجنب (٢) اتذكرين اذ كان رسول الله (ص) يقرع بين نسائه اذا اراد سفراً فأقرع بينهن فخرج سهمي وسهمك فبينا نحن معه وهو هابط من قديد (٣) ومعه علي عليه السلام يحدثه فذهبت لتهجمي عليه فقلت

---

(١) وهذا هو الحديث الثاني من الحديثين ، وحديث الخاصف النعل مشهور عند الخاصة والعامة ومروي بعدة طرق.

(٢) النهش العض ، الرقشاء الأفعى المنقطة بسواد وبياض ، والمطرق المسترخي جفون العين ، وذات الجنب « كما في مجمع البحرين» علة صعبة وهي ورم حار يعرض للحجاب المستبطن الاضلاع داخل جنبيه وفي المجمع ذات الجنب الدبيلة والدملة الكبير التي تظهر في باطن الجنب وتنفجر الى داخل وقلما يسلم صاحبها (٣) قديد مصغر ،موضع بين مكة والمدينة كما في مجمع البحرين

لك رسول الله (ص) معه ابن عمه ولعل اليه حاجة فعصيتني ورجعت باكية فسألتك فقلت بأنك هجمت عليها فقلت له يا علي انمالي من رسول الله (ص) يوم من تسعة ايام وقد شغلته عني فأخبرني انه (ص) قال لك : اتبغضينه فما يبغضه احد من اهلي ولا من امتي الا خرج من الايمان ، اتذكر بن هذا يا عائشة قالت : نعم

الحديث السابع من احاديث ام سلمة

وسابع الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع) روايتها لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : ان الله عز وجل اختار من كل أمة نبيا واختار لكل نبي وصيا فأنا نبي هذه الأمة وعلي (ع) وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي .

و كيف كان ذلك

أجل فقد أثبت هذا في كتاب « كشف الغمة » من كتاب المناقب عن أم سلمة زوجة النبي (ص) و كانت ألطف نسائه وأشدهن له حبا ، قال : و كان لها مولى يحضنها ورباها و كان لا يصلي صلاة إلا سب عليا (ع) وشتمه ، فقالت : يا أبه ما حملك على سب علي (ع) قال : لأنه قتل عثمان وشرك في دمه ؛ قالت : أما انه لولا أنك مولاي وربيتني وانك عندي بمنزلة والدي ما حدثتك بسر رسول الله (ص) ولكن اجلس حتى أحدثك عن علي (ع) وما رأيته ... أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و كان يومي وانما كان يصيبني في تسعة أيام يوم واحد ، فدخل النبي (ص) وهو مخلل أصابعه في أصابع علي (ع) واضعا يده عليه ، فقال (ص) : يا أم سلمة اخرجي من البيت وأخليه لنا فخرجت وأقبلا يتناجيان فأسمع الكلام ولا أدري ما يقولان حتى إذا قلت قد انتصف النهار وأقبلت فقلت : السلام عليكم ، ألج ، فقال النبي (ص) لا تلجي وارجعي مكانك ، ثم تناجيا طويلا حتى قام عمود الظهر فقلت : ذهب يومي وشغله علي (ع) فأقبلت أمشي حتى وقفت على الباب فقلت : السلام عليكم ، ألج ،

فقال النبي ﷺ : لا تلجي فرجعت وجلست مكاني حتى إذا قلت قد زالت الشمس الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب بومي ولم أر قط أطول منه فأقبلت أمشي حتى وقفت فقلت : السلام عليكم ، ألج ، فقال النبي ﷺ : نعم فلجي ، فدخلت وعلي (ع) واضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قد ادنى فاه من أذن النبي ﷺ وفم النبي على أذن علي وهما يتساران وعلي (ع) يقول : افأمضي وأفعل ، والنبي (ص) يقول : نعم ، فدخلت وعلي (ع) معرض وجهه حتى دخلت وخرج فأخذني رسول الله (ص) وأقعدني في حجره فالتزمني فأصاب ما يصيب الرجل من أهله من اللطف والاعتذار ثم قال (ص) : يا أم سلمة لا تلوميني فإن جبرائيل أتاني من الله بأمر أن أوصي به عليا (ع) بما هو كائن بعدي و كنت جالسا بين جبرائيل وعلي ، وجبرائيل عن يميني ، وعلي (ع) عن شمالي ، فأمرني جبرائيل أن آمر عليا (ع) بما هو كائن بعدي الى يوم القيامة فاعذري ولا تلوميني ؛ ان الله عز وجل اختار من كل أمة نبيا واختار لكل نبي وصيا فأنا نبي هذه الأمة وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وامتي من بعدي » ثم قالت أم سلمة لمولاها » فهذا ما شهدت من امر علي (ع) ، الآن يا أبتاه فسبه او فدعه ، فأقبل ابوها يناجي الليل والنهار ، اللهم اغفرلي ما جهلت من أمر علي (ع) فإن وليي ولي علي (ع) وعدوي عدو علي فتاب المولى توبة نصوحا وأقبل فيما بقي من دهره يدعو الله تعالى ان يغفر له

لا يشك اهل النظر فيما ابتدعه معاوية بن ابي سفيان من وسائل القضاء على ذكر علي (ع) وتلك احدى ابتداعاته الخبيثة أن شرع سبه وألزم الناس بذلك ، ويا لها من غرسة سيئة قد غرسها ابن آكلة الأكباد في نفوس شيعته وأوليائه ، في نفوس الهمج الرعاع من أبناء قومه ، في نفوس البسطاء السذج ، في نفوس اهل الشامات وغيرهم ممن قد جهل قدر علي (ع)

اما من عرف فضل هذا الإمام الطهر (ع) ووقف على ما له من سمو المكانة عند الله ورسوله فلا يتنفس في هذه الحياة ولا يستنشق ريح الوجود الا وقد احتضن ولاء امير المؤمنين علي (ع)، ولا يلقى الله عز وجل الا وقد محضه الود محضا، ولا ينقل قدما عن قدم الا وهو ناصر له (ع) بالقلب واليد واللسان، باذل في اظهار مناقبه الغالي الثمين

اجل فمن أراد البصيرة استبصر، ومن ابتغى الهدى اهتدى، ومن نظر قليلا لمع امام عينيه فضل علي (ع) وعلم ان عليا هو الإمام المتبع؛ وخليفة الرسول الصادق الامين، علم انه (ع) راعي رعية قد حفظ رعايتها، ونظم امورها بسديد افكاره وجميل آرائه، واخذ بأيديها الى سواء السبيل

أما من وقف على معائب معاوية ومناقصه؛ وعرف ما استبطنه من غل وحقد وضغينة لأهل البيت النبوي فلن يصبح وايم الحق ولن يمسي إلا وهو بريء منه؛ بريء من عمله، مقبح لسيرته، ذام لعقيدته، منتقص له في كل حال

يجب البراءة من شخص كمعاوية قد أقام بنيان ملكه على الكذب والغدر والخيانة، على الابتداع في الدين وإراقة دماء الصلحاء والأولياء، على نصب وليده الفاجر المتهتك خليفة المسلمين.

إن رجلا كمعاوية قد اتخذ الدين آلة لنيل الدنيا ليس من رجال الانسانية، ليس من أبنائها الأباة الاعفاء، ليس من غرسها الطيب، ولا من ثمرها النقي الخالص

يلزم على عقلاء الأمة الاسلامية وعلى علمائها الاحرار ورجالها المبررين الاطايب أن يرفعوا اسم معاوية من لائحة رجال الاسلام العاملين ومنعشي روحه وقواه

اجل ان رجلا كمعاوية يجعل سب علي (ع) سنة لازمة لجدير بالرفض والبراءة منه، لجدير بأن ينبذ نبذ الذين كفروا، وهو منهم ليس ببعيد

لقد بذل معاوية جهوده لإطفاء نور علي (ع) وأبى الله تعالى إلا إتمام هـذا النور ، وقام بكل ما يستطيع لتحسين ذكره وذكر بني أمية فما زاده ذلك ولا زادهم إلا خمولا ، ولا كشف إلا عن روائح تقضي على النفوس بنتنها

ولقد أراد معاوية كثيراً بما وضعه من دعاية خير للبيت الاموي إيجاد مجـد وشرف وفضيلة لهذا البيت ، ولدى الحقيقة فما أبرز معاويةولا دعايته هذه إلا المخازي والقبائح له ولبيته ؛ تلك مخاز وقبائح يبرأ منها كل عربي حر وكل ذي دين صحيح ومن بديع ما نقل عن عامر بن عبد الله بن الزبير وكان من عقلاء قريش انه سمع ابنا له ينتقص عليا (ع) فقال : يا بني لاتنتقص عليا فإن الدين لم يبن شيئا فاستطاعت الدنيا أن تهدمه ؛ وان الدنيا لم تبن شيئا إلا وهدمه الدين ، يا بني إن بني أمية لهجوا بسب علي بن أبي طالب (ع) في مجالسهم ولعنوه على منابرهم فكأنما يأخـذون والله بضبعه (١) الى السماء مداً ، وانهم لهجوا بتقريظ ذويهم وأوائلهم فكأنما يكشفون عن أنتن من بطون الجيف فأنهاك عن سبه

ومهما تراكمت الغيوم في السماء حجبا ، وثار قتام الأرض في وجـه الشمس متكاثفا فلن يمتنع نورها وضياها من البروز ، وكذلك نور علي (ع) فلن يمنع انارة الكون به دعايات معاوية الفاسدة ولا أقاويله المختلقة ولا ما حسنه للسوقة والعوام من سبه (ع)

وفي مثل تلك السيدة النبيلة أم سلمة كفاية للدفاع عن قداسة علي (ع) وللوقوف في وجه معاوية حين تنهض بدافع الايمان الصحيح ، بدافع الولاء الصادق فتمثل شرف ذلك الدفاع وجمال موقفها النضالي وتصد مولاها عن سب عـلي (ع) بذكر

---

(١) في مجمع البحرين ، الضبع العضد ، وفي (ق) الضبع العضد كلها او وسطها بلحمها او الابط أو ما بين الابط إلى نصف العضد من اعلاها

ما سمعته مشافهة من الرسول (ص) في فضله (ع) وعظيم منزلته حين قال (ص): ان الله عز وجل اختار من كل أمة نبيا واختار لكل نبي وصيا فأنا نبي هذه الأمة وعلي (ع) وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي من بعدي» ، لقد صدقت أم سلمة وبرت في حديثها هذا فلن يستأهل الوصاية الا من جمع الفضائل النفسية والكمالات الروحية ، ولن يقوم بالمهمة الدينية ويملأ عرش الخلافة الإلهية إلا من كان بعلمه وآرائه مستغنيا عن كل أحد ، ولقد نظرنا ودققنا واستفرغنا الوسع فما وجدنا من جمع هاتيك الفضائل والكمالات ولا من كان مرجع الكل لأخذ العلم واستقاء الآراء غير علي بن أبي طالب (ع) فكان علي (ع) وصي النبي ﷺ والزعيم الديني على الاطلاق بحكم العدل والفضيلة ونص الله تعالى عليه في سمائه وعلى لسان رسوله الاعظم .

ولقد أثر ذلك الدفاع المحكم « دفاع أم سلمة » في نفس مولاها ؛ وألان منه جانبه ، وبرأه مما كان معتاداً عليه من سب علي عليه السلام ، وصيره مواليا لهذا الإمام الأطهر

فجزى الله تعالى أم سلمة خيراً ، وأحل معاوية وأتباعه دار البوار ، جهنم يصلونها وبئس القرار

الحديث الثامن من احاديث ام سلمة

وثامن الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع) روايتها لقوله ﷺ مشيراً إلى علي (ع) : هو أخي ، سجيته سجيتي ، ولحمه من لحمي ، ودمه من دمي الخ

وكيف كان ذلك

أجل فقد أثبت هذا الحديث في كتاب « كشف الغمة » من كتاب ابن خالويه عن عبد الله بن مسعود قال : خرج رسول ﷺ من بيت زينب بنت

جحش حتى أتى بيت أم سلمة فجاء داق فدق الباب فقال ﷺ : يا أم سلمة قومي فافتحي له قالت : فقلت : ومن هذا يا رسول الله الذي بلغ من خطره أن أفتح له الباب وانلقاه بمعاصمي (١) وقد نزلت في بالامس آيات من كتاب الله فقال(ص): يا أم سلمة ان طاعة الرسول طاعة الله وإن معصية الرسول معصية الله عزوجل وإن بالباب لرجلا ليس بنزق (٢) ولا خرق (٣) وما كان ليدخل منزلا حتى لا يسمع حساً ، وهو يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ؛ قالت : ففتحت الباب ، فأخذ بعضادتي الباب ثم جئت حتى دخلت الخدر فلما ان لم يسمع وطئي دخل ثم سلم على رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا أم سلمة ، وانا من وراء الخدر ، أتعرفين هذا قلت : نعم

هذا علي بن ابي طالب (ع) قال ﷺ : هو اخي سجيته سجيتي ، ولحمه من لحمي ودمه من دمي ؛يا أم سلمة ، هذا قاضي عداتي من بعدي فاسمعي واشهدي ، يا أم سلمة ، هذا وليي من بعدي فاسمعي واشهدي ، يا ام سلمه ، لو ان رجلا عبد الله الف سنة بين الركن والمقام ولقي الله مبغضا لهذا اكبه الله عز وجل على وجهه في نار جهنم ثم قال : وقد رواه الخطيب في المناقب وفيه زيادة ؛ ودمه من دمي وهو عيبة علمي اسمعي واشهدي ؛ وهو قاتل الناكثين والقاسطين من بعدي اسمعي واشهدي ، هو والله محيي سنتي اسمعي واشهدي؛لو ان عبداً عبد الله ألف عام من بعد الف عام بين

---

(١) المعصم كمقود موضع السوار من الساعد ، والجمع معاصم

(٢) النزق الخفيف الطياش من نزق نزقا من باب تعب اذا خف وطاش والنزق بالتحريك الخفة والطيش

(٣) في مجمع البحرين ، في الحديث الخرق شؤم والرفق يمن هو من قولهم خرق خرقا من باب تعب إذا عمل شيئا فلم يرفق به فهو خرق والاسم الخرق بالضم فالسكون والخرق ايضا الحمق وضعف العقل ، والخرق الجهل

الركن والمقام ثم لقي الله مبغضا لعلي (ع) أكبه الله على منخريه في نار جهنم

إنك ترى في هذا الحديث تكرار قوله ﷺ لأم سلمة : فاسمعي واشهدي وعلى رواية الخطيب : اسمعي واشهدي ، وهل في هذا التكرار من سر وحكمة اجل إن فيه سراً جليلا وحكمة بليغة ، وذلك بأن تكون أم سلمة دعايته ﷺ في علي (ع) تبلغهم عنه ما أنشأ فيه من مدح وثناء ، وتعلمهم بأن عليا (ع) عظيم الخطر عند الله ورسوله

فالنبي ﷺ يأمر أم سلمة بأن تسمع حديثه في علي (ع) أي بأن تصغي اليه وتجعل سمعها وعاء له ، مثبتاً فيه ؛ حافظة له ، لاتنساه أبداً ، ثم يأمرها النبي ﷺ بأن تشهد بعد ذلك لجماعة المسلمين مهاجرين وأنصار وغيرهم بذلك الحديث الذي سمعته من الرسول ﷺ في علي (ع) فتلقيه عليهم ، وبذلك تكون أم سلمة قد أدت ما عليها من هذه الشهادة ووفت بما بايعت عليه رسول الله ﷺ بامتثال ما يأمرها به وخصوصاً في حق أخيه علي (ع)

إن النبي ﷺ يعلم بأن أم سلمة جليلة القدر ، عظيمة الشأن ، صادقة فيما تنقله عنه من حديث ورواية ، لها مكانتها السامية في المجتمع الإسلامي ، وهي من أبر أمهات المؤمنين

فكانت أم سلمة بهذا الاعتبار صالحة لأن تكون دعاية خير وهدى وتبليغ وإرشاد

لذا النبي قد اختارها لأن تكون الدعاية الكبرى في ابلاغ المسلمين ما سمعته من الرسول ﷺ في فضل علي (ع)

وللنبي ﷺ دعايات كثيرة نساء ورجالا يرفعون عنه ﷺ أحاديثه الذهبية في عظمة علي (ع) وتفوقه على الصحابة بكل فضيلة ومنقبة

والملائكة من قبلهم دعاية كبرى بتعداد محاسن علي (ع) وتنظيم مناقبه حين تهتف طروبة بهذه وتلك في أجواء السماء ، وإذ تعلن بذكره الجميل حين تحف بعرش الله الجليل

ولله أنت يا وحي الأنبياء حين ترتل آيه المدح والثناء في علي سيد الاوصياء وأنت هابط وصاعد بين كل سماء

لله أنت أيها الملك الكريم من دعاية لله كبرى حين تنشد فضل علي (ع) بين أطباق السماوات ، وكلما تصفق بأجنحتك في أوساط الجنان

والقرآن قبل الجميع أهم رسول ودعاية للتبشير بفضل علي (ع) وانه ولي المؤمنين ومولاهم من قبل أن يخلق الله تعالى آدم

وإن تلك السيدة النبيلة أم سلمة هي بلا ريب احدى تلك الدعايات التي يرتكز عليها الدين ، ويقوم عليها بنيانه الرصين ، وهي البارزة من بين أزواج النبي ﷺ للتنويه باسم علي (ع) باختياره ﷺ لها من هذه الناحية

نعم يارسول الله ، نعم الدعاية أم سلمة ، ونعم الرسول عنك الى المسلمين تعلمهم بما أصدرته أنت في أخيك علي (ع) من الاوامر المشددة على الخضوع والانقياد له ، والتمسك بولائه ، واتخاذه وصيك وخليفتك من بعدك

لقد قامت أم سلمة بهذه الدعاية خير قيام ، وحدثت عبد الله بن مسعود بقوله: ﷺ في علي (ع) : هو أخي سجيته سجيتي ولحمه من لحمي ودمه من دمي ، حدثته بقوله ﷺ فيه (ع) : يا أم سلمة هذا وليي من بعدي فاسمعي واشهدي ، حدثته بقوله ﷺ فيه (ع) يا أم سلمة لو أن رجلا عبد الله الف سنة بين الركن والمقام ولقي الله مبغضا لهذا اكبه الله عز وجل على وجهه في نار جهنم

لقد حدثت أم سلمة عبد الله بن مسعود بهذه اللآلىء والشذرات لينثرها على

المهاجرين والانصار وعلى سائر المسلمين أينما كان في حضر أو سفر

إن الناظر في سيرة النبي ﷺ مع أزواجه يراه كثيراً ما كان يبث أم سلمة عدداً لا يستهان به من غرر الأحاديث في فضل علي (ع) وليس في البيت غيرهما وقد يكون علي (ع) معهما ؛ وليس غرضه ﷺ الوحيد اعلام ام سلمة بجلالة شأن علي (ع) وإن كان هذا ملحوظا له (ص) بالجملة ، بل إنما غرضه الأساسي أن تكون أم سلمة رسوله ودعايته الى سائر المسلمين تفضي اليهم ما وعته وحفظته من هاتيك الأحاديث الخطيرة في فضل علي (ع)

لأن أم سلمة مصدقة ، وزوجة الرسول المقربة عنده ، وذات وفور في العقل وصلاح في الدين .

﴿ الحديث التاسع من أحاديث ام سلمة ﴾

وتاسع الأحاديث النبوية التي جاءت من طريق أم سلمة في فضل علي (ع) روايتها لجلد الشاة وقول الرسول (ص) لها : من جاء بعدي بآية كذا و كذا فادفعيه اليه ، ثم قولها لابنها مشيرة إلى علي (ع) : يا بني الزمه والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره

و كيف كان ذلك

أجل فقد أثبت هذا الحديث في كتاب « مدينة المعاجز » عن محمد بن الحسن الصفار بسنده عن عمر بن أبي سلمة عن أمه أم سلمة قال : قالت : أقعد رسول الله (ص) عليا (ع) في بيتي ثم دعا بجلد شاة فكتب فيه حتى ملأ أكارعه (١) ثم دفعه إلي فقال (ص) : من جاء بعدي بآية كذا و كذا فادفعيه اليه ، فأقامت أم سلمة حتى توفي رسول الله (ص) وولي أبو بكر أمر الناس فبعثني فقالت : اذهب وانظر ما

---

(١) في مجمع البحرين ، والأكارع الارض اطرافها ، الواحدة كراع

صنع هذا الرجل قال : فجئت فجلست حتى خطب أبو بكر ثم نزل ودخل بيته فأخبرتها فأقامت حتى إذا ولي عمر فصنعت مثل ما صنعت وصنع مثل ما صنع صاحبه قال فجئت فأخبرتها ، ثم أقامت حتى ولي عثمان فبعثتني قال : فمضيت وصنعت كما صنعت وصنع كما صنع صاحباه ، فأقامت حتى ولي علي (ع) فأرسلتني فقالت : أنظر ما يصنع هذا الرجل فجئت فجلست في المسجد فلما خطب علي (ع) نزل فرآني في الناس قال (ع). اذهب فاستأذن لي على أمك فجئتها فأخبرتها وقلت : ان أمير المؤمنين عليا (ع) يستأذن عليك وهو ذا خلفي يريدك قالت : فأنا والله كذا فاستأذن علي (ع) فدخل فقال لها اعطني الكتاب الذي دفعه اليك رسول الله (ص) وآيته كذا و كذا ، قال : فكأني أنظر إلى أمي حتى قامت إلى تابوت لها صغير فاستخرجت من جوفه كتاباً فدفعته إلى علي (ع) ثم قالت لي أمي : يابني الزمه والله ما رأيت بعد نبيك إماماً غيره

ثم أشار إلى رواية ابن شهراشوب لهذا الحديث وفي آخره ، قيل « لأم سلمة » ما كان افي الكتاب قالت كل شيء دون قيام الساعة ، ثم قال في مدينة المعاجز : وفي رواية ابن عباس فلما قام علي (ع) أتاها وطلب الكتاب ففتحه ونظر فيه ثم قال (ع) هذا علم الأبد

اللهم إنا نؤمن بهذا الحديث ونذعن له ، وليس طرازه من حيث الهدف والمرمى إلا طراز سائر الاحاديث النبوية التي تثبت لعلي (ع) ما هو جدير به من سمو الذات وجوهر الفضيلة .

إنا إذا نظرنا إلى شخص علي (ع) فإنا نرى فيه تمام القابلية والاستعداد لأن تنسب إليه كل فضيلة وتعزى إلى شرف ذاته كل منقبة ، ففي شخصه (ع) ذلك ، وفي نفسه ، وفي كل جارحة من جوارحه ، وحاسة من حواسه

لقد حكمنا بهذا بعد إعمال نظرية التوازن بين شخصه عليه السلام والفضيلة فرأينا

العلاقة بينهما شديدة ، والملاءمة بأتم مراتبها ، رأينا كلا منهما ، من شخصه عليه السلام والفضيلة » يجذب الآخر إليه بقوة ولا يرى له كفواً سواه ، أما غير علي (ع) فقد رأيناه خلواً من تلك القابلية والاستعداد ، فاقداً لما يؤهل المرء للاستيلاء على زمام الحكم ، عاريا من الشرائط التي تستوجب التربع على عرش الخلافة باطمئنان

فكان علي (ع) إذاً أهلا لأن يفضي اليه الرسول ﷺ بأسرار النبوة ويدفع اليه مواريث الأنبياء ، كما دفع آدم إلى شيث ، ونوح إلى سام ، وابراهيم إلى اسحاق ، واسحاق إلى يعقوب ، ويعقوب الى يوسف ، وموسى الى هارون ويوشع ؛ وعيسى الى شمعون الصفا ، وليس هؤلاء ، الأنبياء منهم والأوصياء ، بأجل مكانة عند الله تعالى من الإمام علي (ع) ولا قابليتهم واستعدادهم لتحمل ثقل النبوة والوصاية بأتم واكمل من قابلية علي (ع) واستعداده لتحمل الأسرار النبوية والقيام بعبء الوصاية ، بل ان امير المؤمنين عليا (ع) أجل مكانة عند الله تعالى منهم واقرب من الملكوت الأعلى ، كما ان قابليته واستعداده لتحمل خطر الوصاية أتم وأكمل من قابليتهم واستعدادهم لتحمل ما أنزل الله تعالى عليهم من رسائل وكتب ، من نبوة وخلافة

وعليه فلئن حدثتنا أم سلمة بذلك الحديث فهي صادقة فيه بلا ريب ، وصدور مثله قريب جداً من علي (ع) وهو ملائم لسجاياه الغر التي امتاز بها أوصياء الأنبياء عمن سواهم

إن حديث ام سلمة المذكور يرينا ناحية خاصة في الوصي ، يمتاز بها عن غيره ، هي امارة نصبه وصيا وخليفة

إن للخلافة عن رسل الله تعالى وأنبيائه شرائط ، أهمها ثلاثة « أولا » توفر العلم بالحلال والحرام بحيث لا يخطىء في شيء أبداً ولا يحتاج الى البشر ، ويحتاج اليه

البشر مهما كانوا احباراً علماء «ثانيا» الإخبار عما كان ويكون من حوادث الزمان ووقائع الدهر «ثالثا» ظهور الآية والكرامة عن يده في مقام يقتضي الحال ذلك .

هذا ودع عنك توفر الفضائل الأخرى لديه التي لا بد من تفوقه بها على سائر البشر مهما سمت بهم الفضيلة ومهما تدرجوا في قوس الصعود الى برج الكمال الإنساني

إن نفس علي (ع) هي التي لها القابلية والاستعداد لأن تكون مرآة بأعلى مراتب الصقالة والصفاء لارتسام أي فضيلة فيها ، ولأن تكون المحل الأسمى لتلك الشرائط الثلاث على الخصوص

هي نفسه (ع)، لمعة من لمعات نور القدرة الإلهية، تتقد بسناها المتلألأ، وتصعد بشعاعها المنتشر في فضاء هذا الكون محلقة بامتدادها البديع الى مستقاها الاسمى عند سدرة المنتهى

أما غير نفس علي (ع) فلا قابلية عندها ولا استعداد لشيء من هذا كله ، بالضرورة والوجدان ، بالسنة والقرآن ، باعتراف اخصام علي (ع)

لكن نفس علي (ع) ركب الله تعالى فيها ملكات الفضائل ، وأجرى في نواحيها أنهار الحكمة ، وشق فيها ينابيع العلم بكل شيء

ان نهج ام سلمة نهج تتطلع الى معرفة الحقائق ، وتأمل دقيق في الرجل الذي له الاهلية للتربع على عرش الخلافة بعد موت النبي ﷺ ، لقد كانت هذه السيدة العارفة تراعي هذا الامر في كل فرصة سانحة ؛ وتجيل النظر في أفراد الصحابة أيهم ظاهراً بحمل الصلاحية لذاك الكرسي الجسيم « كرسي الخلافة » فما رأت هذه الفذة النبيلة من الصحابة من توفرت فيه الفضائل الخلقية والخلقية غير علي (ع) ، ولا رأت منهم من عنده الصلاحية المطلقة لإدارة دفة الحكم الإسلامي غير هذا الإمام المبرز

فكانت ام سلمة ترى تجردهم من كل فضيلة موهلة للقبض على زمام الحكم

المطلق ولاحتلال ذلك العرش الجليل كما ترى الشمس الطالعة ، سوى علي (ع) فكانت ترى فيه انه هو ذلك الانسان الذي يجب ان يحتل هذا العرش ويقبض على زمام ذلك الحكم ، كانت ترى فيه (ع) رجلا لوصفا له الجو وانثنت له الوسادة وخلي من المعارض امثال معاوية لأنهى المسلمين الى السيادة العامة والنفوذ المطلق من مطلع الشمس الى مغربها

فما قالت اذاً ام سلمة ذلك القول لابنها « يا بني الزمه والله ما رأيت بعد نبيك إماما غيره » إلاعن بصيرة وهدى وتمحيص للصحابة فرداً فرداً

فما نطقت ام سلمة في علي (ع) إلا بالصدق ، ولا جاءت إلا بالحق ، والحق احق ان يتبع ، ومن يبتغ غير الإسلام دينا ، غير علي (ع) فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة أضل سبيلا

ان ام سلمة عليمة بما يجب ان يكون فيه اوصياء الأنبياء من كمال وجمال في الظاهر والباطن بنحو لا يتهيأ مثله لأفراد أي أمة كانت سواهم ؛ فكانت أم سلمة ترى في علي (ع) توفر أسباب الخلافة ، وتشاهد في محياه البهي شعاعها اللامع ، كانت تدرك هذا الأمر في علي (ع) كما كان يدركه المهاجرون والأنصار، لكنها عملت بما أدركت وتبعها في منهاج عملها هذا نفر يسير من أجلاء الصحابة وأفاضلهم ، وصارحوا المنحرفين عن علي (ع) ، وما اكثرهم ، بهذه الحقيقة ، اما المنحرفون عنه (ع) فقد تغلغل في نفوسهم الحسد له حتى إذا جاءهم الوقت الذي تمّ لهم فيه النفوذ صارحوا عليا (ع) بالعداء وأظهروا ما أبطنوه من ذلك الحسد الكامن

لقد شاهدت ام سلمة محاسن انبياء الله ورسله تتجلى في علي (ع) تجلي الشمس في رأد الضحى ، فكانت إذا نظرت اليه (ع) فكأنما قد نظرت إلى آدم وإدريس ، وكأنما قد تمثل أمام عينيها نوح وابراهيم ؛ وكأنما قد رأت موسى الكليم وعيسى

المسيح ، هكذا كانت عظمة هؤلاء الأنبياء وفضائلهم تتمثل أمام التقية البارة أم سلمة عندما كانت تنظر إلى علي (ع)

كانت أم سلمة تعرف لعلي (ع) قدره وهيبته ؛ وجلاله وعظمته ، فكانت تقابله (ع) حينما تراه بكل ما يفرضه عليها ايمانها وعقلها من تقدير واحترام ، وإنما كانت تقدر في هذا الحال شخص النبي محمد ﷺ ، وإنما كانت تحترم نفس الرسول بلا ريب

اما الرسول ﷺ فلقد كان في كل وقت ممكن يتبع سير الأنبياء السالفين مع اوصيائهم في نصب الدلالات على ان الوصي والخليفة بعده انما هو علي (ع)

انك ترى أمام ناظريك حديث ام سلمة لجلد الشاة وقد ملأ ﷺ أكارعه من فيض علومه ورسم على هذه الأكارع كمية وافية من الأسرار الإلهية التي تنبيء عما يكون في المستقبل

ان هذا الحديث يمثل ناحية من نواحي ذلك السير النبوي الخاص في مقام تعيين الوصي بعده وهو بلا ريب ضرب من ضروب النص على هذا الوصي

لقد اعلم النبي ﷺ ام سلمة بأن من يطلب منها تلك الوديعة بعده بعلامة خاصة فهو وصيه وخليفته ؛ وامر ﷺ عليا (ع) بأن يطلب منها هذه الوديعة في الوقت المعين ويدلي (ع) اليها بتلك العلامة التي جعلها الرسول ﷺ

لقد صنع الرسول ﷺ ذلك لتعلم ام سلمة جمهور المسلمين بأن من يتصدى للأمر وينسب لنفسه الخلافة ولا يطلب منها تلك الوديعة النبوية فهو ليس بخليفة وانما الخليفة غيره .

لقد قامت ام سلمة بهذا الإعلام ، وانبأتهم بأن عندها سراً نبوياً يحتاج اليه من يتولى امر الامة ولا غنى له عنه البتة

وما كان من المسلمين يا ترى
اجل انما كان منهم عدم الاكتراث بقولها
وما الذي صدهم عن قبول قولها والاصغاء اليه
اجل لقد صدهم الحسد لعلي (ع) وما استبطنوا من العداء له
ولمَ حسدوه
نعم انما حسدوا عليا (ع) لأنه المخصوص بالمدائح النبوية، والمنوه باسمه في الكتب السماوية، والمثنيّ عليه في القرآن الكريم، فما حسدوا عليا (ع) اذاً إلا لأنه مجمع الفضائل، ولا حملهم على التهجم على قداسته إلا انه (ع) حطم آلهتهم وأباد عتاتهم يوم بدر وحنين واحد والأحزاب
وما اضروا عليا (ع) شيئا وانما اضروا انفسهم وجلبوا لها الويلات والحسرات وفقدوا نعيما لا يبيد.
والى هذا ينتهي مآل من يتعدى على الفضيلة ولا يحفظ المراسيم التي تلقاها الرسول ﷺ عن الوحي عن الله تعالى في اخيه علي (ع)
وصلوات الله تبارك وتقدس تغدو وتروح على روحك الزكية يا امير المؤمنين واللعنة الدائمة على الذين آذوا الله ورسوله في التعدي عليك يا ابا الحسن، وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون

إلى هنا بحمد الله تعالى انتهى الكلام على الجزء الاول
من كتابنا « أنا مدينة العلم « وعلي » بابها »
ويليه الجزء الثاني إن شاء الله تعالى

جدول الخطأ والصواب

للجزء الأول من كتاب « انا مدينة العلم « وعليّ » بابها »

ص	خطأ	صواب
٤	محمد محمد بن الحسن	محمد بن الحسن
٤	بن ابراهيم محمد الفزاري	محمد بن ابراهيم بن محمد الفزاري
٨	وانه اكمل (ع)	وانه (ع) اكمل
١١	وهو الدعامة	هو الدعامة
١١	في كفتهم	على كفتهم
١١	ارتكز اصول	ارتكزت اصول
١٤	من الله بمحبته	من الله بمحبة
١٤	إذا قاضي	إذ أقامني
١٥	والمؤاساة	والمواساة
١٦	له غنم في الكرم	له غنم
١٩	لمن جمعها	لمن جمعهما
٢٢	من جسمه	من مبسمه
٢٢	بما هو عليه فيه	بما هو (ع) فيه
٣١	او افكارك	وافكارك
٤٥	الوزع بن الوزع	الوزغ بن الوزغ
٤٦	وعثمان بن عفان	وعثمان بن عفان
٤٦	وطلحة بن عبدالله	وطلحة بن عبيدالله
٤٨	إذا اثبتناه هنا	لذا أثبتناه هنا
٤٨	بن معارية	بن معاوية
٥١	الاباء له والعز	الإباء والعز
٥٧	ولا هيبا بين لولايته	ولا هابيين لولايته

ص	خطأ	صواب
٦١	فضيلة الشجاعة فضيلة الفصاحة	فضيلة الشجاعة، فضيلة الكرم ، فضيلة الفصاحة
٦٢	للذين	الذين
٦٣	النزوح عن المعاصي	النزوع عن المعاصي
٦٧	أنوارا	انوار
٦٧	والمرقد الذي قد جللته	هو المرقد الذي قد جللته
٧١	بها جرى	بها احرى
٧٦	نعوذ من الحور	نعوذ بالله من الحور
٧٧	تكون في باطنه	تكون باطنه
٧٩	لاختلاف ما يوجب	لاختلاق ما يوجب
٧٩	عندما امره	عند ما امره
٨٠	من طرق الانتقاض	من طرق الانتقاص
٨٠	او يكشف	او يكشفا
٨١	لمستودع امراره	لمستودع امراره
٨٣	حاشاه منها	حاشاه منهما
٨٤	سيف الدين	بسيف الدين
٨٤	سيف الشريعة	بسيف الشريعة
٨٤	الامام ابي جعفر	الامام ابو جعفر
٨٤	على ابو جعفر	على ابي جعفر
٨٥	يحبه الله ورسوله	يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله
٩٠	وصفات إجمالية	وصفات جمالية
٩٢	انت اول المسلمين	انت اول المسلمين اسلاما

ص	خطأ	صواب
٩٣	انت مني	وانت مني
٩٣	والله لا يسبقني	والله لا يسبقني بها
٩٤	وبم قال: فانصاع	وبم قال: لاني ابن عم الخليفة المقتول ظلما قال: هذا إذاً يعني ابن عمر أولى بالامر منك لأن ابا هذا قتل قبل ابن عمك قال: فانصاع
٩٥	والتدليس والمراءة	والتدليس والمراءآة
٩٥	فما كنت	اما كنت
٩٥	بل انها سببها	بل انما سببها
٩٥	وكلا الامرين متوافران	وكلا الامرين متوفران
٩٧	بالافتراء عليه	بالافتراء عليه
٩٩	أمير البردة	أمير البررة
١٠٢	لحكم الحاكمين	لحكم الحكمين
١٠٢	اما ابا موسى	اما ابو موسى
١٠٢	على امرة	على امره
١٠٥	وبشرف محياه	ويشرق محياه
١٠٨	بتنفيذه الحكومة	بتنفيذ الحكومة
١١٠	لنا السيدة النبيلة	لناهذه السيدة النبيلة
١١١	علمت من وراء ذلك	علمت ان من وراء ذلك
١١١	واعزازه عنده	واعزازها عنده
١١٢	فقال نعم	فقال نعم
١١٤	إلى النفوس كانت	ان النفوس كانت
١١٦	وقد احاطه بهودجها	وقد احاط بهودجها
١١٧	قد ضللوا	قد ظللوا
١١٧	كان يراه علي (ع) بأنه	كان يراه (ع) بأنه
١٢٢	وتكفله لسعادة البشر	وتكفل لسعادة البشر
١٢٤	وجه جملك والله ما يومه	وجه جملك وقال والله ما يومه
١٢٨	خليفة المسلمين	خليفة للمسلمين

فهرست الجزء الاول

من كتاب « انا مدينة العلم « وعلي » بابها »

ص

٢ الاهداء

٤ من هو الامام أمير المؤمنين

٤ ما هو حصن الله تعالى

٥ علي (ع) مجمع الفضائل

٩ كلام البعض بأن الأعمال التي يستحق بها الخير أربعة وهي مجتمعة في علي بن أبي طالب (ع) متفرقه في الصحابة

١٠ أبيات أسعد بن رقيم يكبر فيها عليا (ع) بخصوص فضيلة الجهاد

١١ أبو بكر في حديث له مع عمر يكبر عليا (ع) بخصوص فضيلة الجهاد

١٣ عمر بن الخطاب في حديث له مع أبي وائل يكبر عليا (ع) بخصوص هذه الفضيلة

١٤ أبو بكر يتلو جملة من فضائل الامام علي (ع) أمام جمهور المسلمين

١٥ حرة السعدية تتلو طرفا من فضائل أمير المؤمنين (ع) في مجلس الحجاج

١٧ تقسيم الفضائل المتجمعة فيه (ع) إلى نوعين أو ثلاثة

١٩ حديث سعيد بن المسيب عندما جاء المسلمون لمبايعته

٢٠ ما أنشده خزيمة لما بويع الامام (ع) على المنبر النبوي

٢٢ أبيات ثلاثة لنصراني يشير بها إلى انه (ع) مجمع الفضائل

٣٢ كتاب ابن مهران إلى عمر بن عبد العزيز بشأن المرأة وزوجها وأبيها وما ذكره العقيلي من الحديث النبوي في فضل علي (ع)

٣٨ معاوية بن يزيد بن معاوية يتلو فضل علي (ع) ويعترف بغصب جده وأبيه للخلافة

٤٦ تذييل هام له فائدته في المقام

٥٩ معاوية في حديثه مع محفن بن ابي محفن يعدد فضائل علي (ع) ويعترف بظلمه له

٦٤ اعتراف معاوية لما اطلع في بئر الابواء واصابته اللقوة في وجهه بأن الحق لعلي (ع)
٦٧ في النجف هيبة الاله، وجنة النعيم، ومدرسة العلم والعرفان وسر الوجود، والمزار الأعظم لعشرات الملايين من البشر
٧٥ سعد يحدث معاوية بفضل علي (ع) ويقول له : اما ماذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله فلن أسبه
٨٢ الإشارة إلى حديث اعطاء الراية يوم خيبر
٨٥ الإشارة إلى حديث أنت مني بمنزلة هارون من موسى
٩١ عمر بن الخطاب يحدث الصحابة بفضل علي (ع) ويقول : سمعت رسول الله يقول في علي ثلاث خصال وددت أن لي واحدة منهن فواحدة منهن احب إلي مما طلعت عليه الشمس مع حديثيه مع ابن عباس
٩٣ سعد يحدث معاوية بقول النبي لعلي أنت مع الحق والحق معك
١٠٩ الاحاديث النبوية من طريق ام سلمة في فضل علي (ع)، فضل ام سلمة وروايتها للحديث
١١٢ الحديث الاول من احاديث ام سلمة
١١٥ الحديث الثاني من احاديث ام سلمة
١٢٠ الحديث الثالث من احاديث ام سلمة
١٢٣ الحديث الرابع، والخامس، والسادس، من احاديث ام سلمة
١٢٦ الحديث السابع من احاديث ام سلمة
١٣٠ الحديث الثامن من احاديث ام سلمة
١٣٤ الحديث التاسع من احاديث ام سلمة

قريباً سيصدر الجزء الثاني بذات الحجم ان شاء الله فانتظروه